وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

ديوان المراثي

شعر

عبد الرزاق عبد الواحد

من الشعر العربي ١٨٦

ديوان المراثي

عبد الرزاق عبد الواحد

ديوان المراثي

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٠

من الشعر العربي

«١٨٦»

يا شيخَ غُربَتِنا

في رثاء الشاعر أحمد الصافي النَّجفي

هـذي مَحطَّاتُنـا، فامـشي علـى مَهَـلٍ
نُلقـي علـى بعـضِنا تَـسآل مُرتَحـلِ
تحيَّـــةً ربَّمـــا.. وَجـــداً نكابـــدُهُ
تَعِلَّـــةً.. نظـــرةً مُبتلَّـــةَ المُقَـــلِ
نقـــولُ شـــيئاً، وَنَـــدري في طَويَّتِنـــا
أنّـا عَثرْنـا، وأنَّ القـولَ لـم يُقِـلِ
وأنـتِ يـا خُطـوةً تَخـشى هَواجـسَهَا
هـذا طريقُـكِ مهمـا تُبطِئـي تَصلِي!

هـذي مَحطَّاتُنـا.. تَطـوي الحيـاةُ بنـا

مَفازَهــا بــين مَخــضوبٍ ومُــشتَعِلِ

شــتَّى.. مَــداراتُنا شــتَّى.. مَرافئُنــا

شــتَّى، نَمُــرُّ بهــا مَــرّاً علــى عَجَــلِ

مُحــاذرينَ الرِّضــا أن يَطمــئِنَّ بنــا

كــيلا نُقــايضَ لَفْــحَ النّــار بالبَلَــلِ!

حتى إذا صاحَ فينا صائحٌ شَخَصَتْ

منّــا العيــون، ولاذَ الــسَّهلُ بالجبَــلِ

ونلتقـــي وعنـــانٌ مـــن أعِنَّتنـــا

ألــوَتْ بــهِ فكَبــا دوَّامــةُ الأجَــلِ

أولاءِ نحـــنُ علـــى عِلاَّتنـــا سُـــدُمٌ

مَزروعـةُ العـينِ عنـدَ المعبَـرِ الجَلَـلِ

حتـــى إذا شـــقَّ لمَّـــاعٌ مَفازَتَـــهُ
آلَـتْ مَنــابعُ عينيــهِ إلــى وَشَــلِ!
يــا شــيخَ غُربَتِــا، لــولا مُكــابرةٌ
تُميتُنــا، لــم نُــلاقِ الــرِّيحَ بالأَسَــلِ
ومــا ادَّعــى مُــدَّعينا أنَّــهُ بطَــلٌ
لكنْ يموتُ على أُسطورةِ البطلِ!

يــا شــيخَ غُربتِــا، تبقــى تُعلِّمُنــا
حياةُ مثلِكَ معنى الموتِ في القُلَلِ
معنـى التَّفَـرُّدِ.. معنـى أَن نَمُـجَّ دمـاً
ولا نموت.. ونستَعصي على الكَلَلِ
هــذي مَقاديرُنــا، نبقــى نُــصرِّفُها
كمـا جُبِلْنـا، فتَطوينـا علـى عَجَـلِ

نَحــُــن البَعيــدون إلاّ عــن مَقاتلِنـــا

في ذروةِ اليــأسِ أو في ذروةِ الأمَــلِ!

* * *

تنهضُ بين الحقائق

في رثاء الشاعر حسين مردان

مُتعَباتٌ خُطاكَ إلى الموتِ
مَهمومةٌ
يا حسينَ بنَ مردان
لكنْ تُكابرُ
أيقَظْتَ كلَّ المَلاجيءِ
فانهزَمَتْ
مَنْ يشاركُ مَيْتاً منيَّتَهُ يا بنَ مردانْ؟

مُنجرِداً وحدَكَ الآنْ

يُحشَرُ هيكلُكَ الضَّخْمُ في ضَنْكةِ الموتِ حَشراً
وأنتَ تُكابرُ
كلُّ المياهِ تَعَثَّرتَ فيها لِتُطفيءَ خَوفَكَ
فاشتعَلَتْ

موحَشاً كنتَ
مُستوحَداً
تَتَنازلُ عن كلِّ أرقامِكَ المُستباحةِ
تُسقِطُها
واحداً
واحداً

الطريقُ إلى الصِّفرِ مُعجزةٌ يا بنَ مردان
أن تَملِكَ الدَّربَ وحدَكْ

تَمتلكَ النَّدمَ المتَفَرِّدَ وحدَك
أن تلتقي والذي خِفتَهُ العُمر..
تَدخلُ دهليزَهُ

إنَّها لَحظةُ الكَشْف
وَحدَكَ تَملكُ أن تَسمعَ الآن
وحدَكَ تَملكُ أن تَتَقرَّى
ووَحدَكَ تُبصِر

تَعلَمُ وَحدَكَ إن كان للخَطوِ مُرتَكَزٌ
حين يَفتَقدُ المرءُ أقدامَهُ
حين يَفتَقدُ الأرض
تلك خصوصيَّةُ الموتِ
تَملكُها الآنَ وحدَكَ

تحبو إليكَ المجاهيل
تنهَضُ بين الحقائقِ
عُريانَ
منخَلِعاً عنكَ كلُّ ادِّعائكِ

إنَّ الطريقَ إلى الصِّفرِ مُعجزةٌ
إنَّهُ الخوف

عُمرَكَ وَطَّنْتَ نفسَكَ أن تألَفَ الخوف
لكنَّ حجمَ الذي أَنتَ فيهِ
يُحَطِّمُ كلَّ القياسات
يُسقِطُ كلَّ المَعابِرِ حيثُ التَفَتَّ
سوى معبَرِ يَشرئبُّ إلى يوم كنتَ صغيراً

تلوحُ بهِ

حافِ القدَمين

مُهَدَّلَةً ياقَةُ الثَّوبِ منكَ

تَمرُّ عليهِ الوجوهُ التي

والسِّنينُ التي

والنِّساءُ اللواتي..

وتأتي حسينَ بنَ مردان

مُنْسَدِلَ الشَّعرِ للكتفَين

عَصاكَ الغَليظةُ تَضربُ بين ديالى وبغداد

تَصعَدُ مِعراجَ قوسِك

كانتْ عَموديَّةَ المُرتَقى كلُّ أقواسِنا يا بنَ مردان
تَذكرُ كيفَ تَقَبَّلَنا الموت؟

أسماؤنا كلُّها ذاتَ يومٍ عَقَدْنا على شجَرِ الموتِ أجراسَها
وانتَظرنا الرِّياح
وكانت تَهبُّ الرّياح
تَهبُّ..

أكُنَّا نُبالغُ؟
أَم أنَّها سَنواتُ البطولَةِ
يَنكسرُ المرءُ من بَعدِها سُلَّماً
ثمَّ يَزحفُ للخوفْ؟

تَذكُرُ كيف تَقبَّلَنا الموت؟؟

ما تَصفرُ الرّيحُ
إلاّ ويَسمعُ واحدُنا رَنَّةً باسمِهِ
ثمَّ يمضي

ولكنَّها سنَواتُ الرِّضا يا بنَ مردان
البَشَرُ الماءُ
يَعقدُ أجراسَهُ في مَهبَّاتِ كلِّ الرّياح
ويَختبيءُ الجرَسُ الموتُ
أصغرُ أجراسِهِ الجرَسُ الموت

أفنَيتَ عُمرَكَ تُحكِمُ تَعليقَهُ
وتُوَسِّعُهُ
ثمَّ تُوسعُ حِملاقَ عينيكَ فيهِ
فتفزَع..!

ماذا جنَيتَ ابنَ مردان؟
طفلاً لَهَوتَ بدُمیةِ عُمرِكَ
طفلاً سَئِمتَ، فحَطَّمتَهَا
حُلُماً كان أن تَشتري بَدلةً
حُلماً عشتَ أنْ صرتَ مُستَوظَفاً
حُلماً أن غَدَوتَ
ولو مَرَّةً
دائناً لا مديناً

ولكنَّه يا بنَ مردان دَقَّ
ولم تَتَّسخْ بَعدُ أكمامُ بَدلتِك الحُلم
دقَّ
ومازال دَينُكَ

ما حانَ مَوعدُ إيفائِهِ

دقَّ ناقوسُ موتِكَ
يا أيُّها الإمبراطور(*)
يا أيُّهذا الموظَّفُ من قبلِ شهرَين..

* * *

(*) كان يحلو لحسين مردان أن يسمي نفسه دائماً «إمبراطور الأدب» .

غَرَقُ الطُّوفان..

شهقةٌ على جثمان العالم العراقي
الكبير الدكتور عبد الجبار عبد الله

وانسابَ في صَمتٍ، وفي جَلالْ
تَلفَّتَتْ تسألُ عن مَنبعهِ الجبالْ
أيُّ ذُراها؟..
رَفعَتْ رؤوسَها الأهوارْ
وابتَسمَتْ،
رَنَتْ إليه في اعتزازٍ
أجهَشَتْ
وظَلَّ ينسابُ مَهيبَ الموج
في صمتٍ

وفي جلالْ
مُعمِّقاً مَجراهْ
مُغالِباً مَجراهْ
مُتَّسِعاً فاضَ على مَجراه
ثمَّ استَقَرَّ حيثُ لا تضطربُ المياهْ
وحيثُ لا تختلفُ المياه..

ماءٌ ولا جَفافْ
لم تَثِبِ العيونُ عَبْرَهُ إلى ضِفافْ
الأرضُ كلُّها غَذَتْهُ،
احتَضَنَتْ مَسارَهْ
تَرصَّدتْ مَدارَهْ
أعطَتْهُ
لم يأخذْ،

وأعطى كلَّ ما لَدَيهْ
لم يَسبِروا قَرارَهْ
لكنَّما رَوائحُ العِماره.. [*]

حَياتُهُ..
كأيِّما ضياءْ
أنجَبَهُ احتراقْ
أرضَعَهُ احتراقْ
وَهَّجَهُ احتراقْ
أطفأَهُ احتراق

أغفى

(*) العمارة: مدينة في جنوب العراق، ولد فيها عبد الجبار عبد الله، وعاش طفولته وصباه.

تَعَرَّتْ شَهقَةٌ تَملأُ عينَيهِ
تَلوبُ
تَطرقُ الأبوابْ
تَستَصرخُ الوجوه،
تَستَشهدُ،
تبكي،
تَذبحُ الأهدابْ
وأفلَتَتْ مَروعَةً تحملُ عينَيهِ،
تكادُ تَشربُ العراقْ
تطوي المسافات،
تَذودُ الموتَ،
تَعدو
تَشربُ العراقْ
وانكَفَأتْ..

تَدَحرجَتْ عيناهُ رَطْبَتَين
واستَقرَّتا في تربةِ العراقْ..

وَطأطأتْ رؤوسَها الأهوارْ
وأجهَشَتْ على ضِفافِها حَناجرُ القصَبْ

تأمَّلَتْهُ وهو يَنسابُ بلا شُطآنْ
يَدِفُّ حَولَهُ ضَبابٌ هائلُ الأكفانْ
وتابَعَتْهُ..

غامَ في أحداقِها الأمسُ،
تَناءى
تابَعتْ أحداقُها المَجرى
هَمى الأمسُ رذاذاً

عينُها مَشدودةٌ عَبْرَ رَذاذِ الأمس
المَجرى ضَبابٌ هائلُ الأكفانِ يَنأى
انهَمرَ الغَيثُ عَنيفاً
غَرِقَتْ أَحداقُها في الأمسِ،
غامَتْ
تابَعَتْهُ
تابَعتْهُ
تابعَتْ.....هُ

جَدوَلٌ صغيرْ
يوشوِشُ الأمواجَ في شواطيءِ العِماره
مُستوحِداً نَحيلْ
مُنسَرِباً بين جذورِ العُشبِ والنَّخيلْ
يؤنِسُهُ خَريرُهُ..

وتابَعَتْهُ

تَابَعَتْهُ

تابعَتْ..

تذكَّرتْ طفلاً يَتيماً حافيَ الأقدامْ

على يَدَيها نامْ

يرتَعشُ الشِّتاءُ كلُّهُ بِرُكبتَيْه

يَندَسُّ في عظامهِ

يَجمدُ في يدَيه

فينحني عُوداً على كتابِهِ الصَّغيرْ

وزَخَّتْ الأمطارْ..

تَذكَّرتْهُ يافِعاً

صامِتةً خُطاهْ

واسعةً خطاهْ

تذكَّرتْ كم شَرِبَتْ عيونُها خُطاه

حتى غابَ في الضّياءْ

وحولَها حناجرُ القصَبْ

تَشهَقُ بالدُّعاءْ

وانسابَ نحوَها يَنابيعَ من الضياءْ

عادَ إلى وديانِها سَماءْ

عاد إلى شُطآنها سَماءْ

عاد إلى أحضانِها بَحراً من الضّياءْ

وادِعةً خُطاهْ

ثابتةً خُطاهْ

هائلةً خُطاه

فَزَغرَدَتْ كلُّ شِفاهِ القصَبْ

واحتَضَنَتْهُ،

قَبَّلتْ خُطاه

وزخَّتْ الأمطارْ

عَنيفةً

ثمَّ تَلاشى الغَيمُ

شَفَّ

اغرَورَقَتْ أحداقُها بالضَّوء

ذابَ الأمسُ

شَفَّ

ابتَلعَتْ دموعَها الأهوارْ

ثمَّ أَفاقتْ..

كان يَنسابُ بلا شُطآنْ

يَدِفُّ حَولَهُ ضَبابٌ هائلُ الأكفانْ
أمواجُهُ تَعثَرُ بالضَّبابْ
أضواؤهُ يَشربُها الضَّبابْ
يَنسابُ فِي الضَّبابْ
يَنسابُ..
لا شيءَ سوى الضَّبابْ..

حينَ تَمرُّ الرّيحُ فِي شَواطيءِ العِمارَه
يَصعدُ مِن حَناجرِ القصَبْ
يَنثالُ من ذَوائب النَّخيلْ
صوتُ نداءٍ يُشبهُ العويلْ:

أوحَشْتَ عبدَ اللّهْ
صَوَّحتَ عبدَ اللّهْ

يا والدَ الطُّوفانْ

قد غَرِقَ الطُّوفانْ

لا نِمْتَ عَيناً

غَرِقَ الطُّوفانْ

لا نِمْتَ عبدَ اللّه

لا نِمتَ عبد اللّه

لا نِمت..

* * *

يا وارفَ الظلِّ

في عبد الجبار عبد الله

عام ١٩٩٣

ذكـراكَ، واللَّيـلُ، والأمطـارُ، والـسُّحُبُ
وصَـوتُ مِـزرابِ جـاري وهـوَ يَنتَحِـبُ

وَوَحـشَةُ المـوتِ، والنَّجـوى، ومَكتَبَتـي
وأنـتَ مثـلَ انـسِرابِ النُّـورِ تَنـسَرِبُ

كأنَّمـا مِـن ضَـميرِ الغَيـبِ تَـسألُني
مـاذا سَـتَنفَعُكَ الأوراقُ والكُتُـبُ؟!

لابـأسَ.. أدري بـأنِّي بـالِغٌ أجَلـي
أبـا سِـنانٍ.. وأنِّـي مُـوحَشٌ، تَعِـبُ

مُـستَنزَفٌ.. وشَـراييني، وأورِدَتـي
دَمـي بِهـا كالتِهـابِ الجَمـرِ يَلتَهِـبُ

أدري، وأدري بـأنَّ العُمـرَ مِـن قَلَمـي

مثـلَ المِـدادِ علـى القِرطـاسِ يَنـسَكِبُ

وأنَّ قلبـــيَ مِـــن وَجــدٍ، ومـــن قَلَـــقٍ
وَجيبَ جِنْحِ القَطا في أضلُعي يَجِبُ!

هَـل عِـشتَ إلا لهـذا؟.. أو لأنبَـلَ مِـن
هذا؟ فَأيَّ اضطرابٍ كنتَ تَضطربُ؟!

أنــتَ الــذي كنــتَ عُــوداً لا وِقــاءَ لَــهُ
مثـــلَ الـــسَّنابِلِ، إلا حَبُّـــهُ الرَّطِـــبُ!

أعطـى لهـا عُمـرَهُ، حتـى إذا نَـضَجَتْ
ألوَتْ بِها الـرِّيحُ، والتاثَتْ بها التُّرَبُ!

طُوبـاكَ.. في كـلِّ أرضٍ مِنـكَ سُـنبُلَةٌ
وَنَجمَـــةٌ.. وَنُهَيْـــرٌ مـــاؤهُ عَـــذِبُ!

يـا وارِفَ الظِّـلِّ.. يـا نَبْعـاً جَداوِلُـهُ
قلـبُ العِمـارَةِ في شُـطآنِها يَثِـبُ!

نَيِّـفٌ وعـشرونَ مَـرَّتْ وهـيَ والِهَـةٌ
يَبكـي بأهوارِهـا البَـرديُّ والقَـصَبُ!

اللهُ.. في لحظـةٍ كيـفَ انطـوى وَهَـوى
العِلـمُ، والحِلـمُ، والأخـلاقُ، والأدَبُ؟!

وكيـفَ أهلُـكَ مـا مـادَتْ منـازِلُهُم
كـأنَّهُم مـا رأوا هَـولاً، ولا نُكِبـوا

وكيـفَ لِـلآن لا يَـدرونَ عنـكَ سِـوى
أنَّ ابـنَهُم عـالِمٌ، قبـلَ اسـمِهِ لَقَـبُ!

أمّـا النُّبُـوءَةُ.. أمّـا مـا نَـذَرتَ لَـه
شَـتاتَ عُمـرِكَ حتـى شَـفَّكَ العَطَـبُ

شَـفَّاً.. وحتـى نَـشَرتَ الـرُّوحَ أشـرِعَةً
والـلَّيـلَ بَحـراً، وركـبُ المـوتِ يَقتَـرِبُ

وأنــــتَ تَختَــــصِرُ الأبعـــادَ هائِلَـــةً
وقَـد تَلاقَـتْ علـى راحاتِـكَ الـشُّهُبُ

فَمــا لَهُــم حِـصَّةٌ فيــهِ، فَعِنــدَهُمو
لا يَحكُـمُ العِلـمُ لكـنْ يَحكُـمُ الـذَّهَبُ!

وعنـدَهُم لـيسَ لِلأحـلامِ مِـن سَـبَبٍ
لكـنْ لأصــغَرِ رِبْــحٍ عنــدَهُم سَـبَبُ!

وأنـتَ تَحلَـمُ.. أترَعْـتَ الـدُّنا حُلُمـاً
حتـى لَكـادَتْ تَهـاوَى دونَـكَ الحُجُـبُ

وجــاءكَ المــوتُ.. هـــا أهلــوكَ.. لا
ولا اســتُفِزُّوا، ولا رِيعُــوا، ولا رُعِبُــوا

يُعَلِّلـــونَ بِهـــذا الحَفـــلِ أنفُـــسَهُم
أنْ قَدَّموا لـكَ باسـمِ النّـاسِ مـا يَجِـبُ

وأنـــتَ تَـــدري بـــأنَّ الـــدّارَ تَـــسكُنُها
بِيعَتٌ، وقبـرُكَ هـذا.. مُـوحِشٌ، خَـرِبُ

وأنَّ كـلَّ الـــذي أبـــدَعتَ مِـــن غُـــرَرٍ
لِلعِلـمِ، تَحــتَ الغُبـــارِ الآنَ يَحتَجِـــبُ

قُلْ لـي إذن سيِّدي.. هـل أنتَ مَيِّتُهُم
أم الـــذين تُوُفُّـــوا أهلُـــكَ النُّجُـــبُ؟!

وهَـل كَبُـرتَ بِهِـم؟.. أم هُـم كَعَهـدِهِمو
كَبيـــرُهُم بَيـــنَهُم عُريـــانُ مُـــستَلَبُ؟!

أيَعلَمـــونَ بـــأنَّ التُّـــربَ تَـــسكُنُها

يومــاً لَهــا يَتَمَنَّــى الــنَّجمُ يَنتَــسِبُ؟!

وأنَّ كـــلَّ نَهـــارٍ ضَــيَّعوكَ بِـــهِ
أولادُهُــم عَنــهُ يَومــاً مــا سَــتَحتَرِبُ

وأنَّهُــم.. بَينَمــا تَبقَــى تُــضيءُ لَهُــم
سَــيَذهَبونَ.. فَــلا نَبْــعٌ، ولا غَــرَبُ

لا مــالُهُم.. لا مَتــاعٌ يَزدهُــونَ بِــهِ
يَبقى.. ولكنْ سَيَبقى وَجهُكَ الحَدِبُ!

يــا جَـذوةَ العِلـمِ.. يــا أعلــى مَراتِبِــهِ
إذا اســتُفِزَّتْ بِــهِ الألقــابُ والرُّتَــبُ

هـل أنـصَفَتكَ مَراقـي العِلـمِ كنـتَ لهـا
مؤسِّــساً، عُمــرَهُ يُعطــي ويَحتَــسِبُ؟!

أم أنَّهـــا أنكَـــرَتْ بـــاني مَـــدارِجِها

وَمَــن قَــضى عُمـــرَهُ فــيهِنَّ يَغتَـــرِبُ؟

إذن فَمَــن ذا سَـيُعطي الأرضَ رَونَقَهــا

أبــا سِــنانٍ إذا مــا أهلُهــا ذهَبـــوا؟

ومَـــن يَعيـــدُ إلـــى الـــدُّنيا مروءَتهـــا

إذا بَنُوهـــا علـــى آبـــائِهِم شَـــغِبُوا؟

وكيـــفَ نُمـــسِكُ بـــالميزانِ نَرفَعُـــهُ

إن لـــم نَكُـــنْ بِنِقـــابِ الحَـــقِّ نَنتَقِـــبُ؟

إذا كَفَـــرتَ بِثَـــديٍ كنـــتَ تَرضَـــعُهُ

فـــأيُّ شـــيءٍ عليـــهِ لَـــستَ تَنقَلِـــبُ؟!

أبــا سِــنانٍ أرانـــي مُوقِظـــاً وَجَعـــي

ومـــــا لـــــيَ الآنَ في إيقاظِـــــهِ أرَبُ

لكنَّـــــهُ لِمَـــــصَبٍّ أنـــــتَ تَعرِفُـــــهُ
يَجـري، ونحـنُ كِلانـا فيـهِ نَـصطَحِبُ

أنـا بِـهِ مَحـضُ إنـسانٍ.. وكنـتَ بِـهِ
قِـدِّيسَ عَـصرٍ تَلاقَـتْ حَولَـهُ النُّـوَبُ!

عُـذراً إذا كنـتُ أُدنـي منـكَ مَجمَرتـي
أبـا سِـنانٍ، وأنـتَ الهـاديءُ العَـذِبُ

أنـــتَ الـــذي مـــا دَرى يَومـــاً مُحَدِّثُـــهُ
عَـــن هَمِّـــهِ، أيُّ جُـــرحٍ منـــهُ يَقتَـــرِبُ

وأنَّ هـذا الـذي يُـصغي بِـلا ضَـجَرٍ
إليـــــهِ، أوجاعُـــــهُ أُمٌّ لَـــــهُ وأبُ!

فَإن أكُنْ هِجتُ جُرحي فهوَ منكَ دِماً
ألَيسَ يَجمَعُنا مِن جُرحِنا نَسَبُ؟!

أنعِمْ مَساءً، وَطِبْ نَفساً بأفرُخِنا
أبا سِنانٍ.. لَقَد غَطّاهُمُ الزَّغَبُ

ونسألُ اللّه، إن طالَتْ قَوادِمُهُم
وأبعَدَتْ عنهُمُ أهوالَها الرِّيَبُ

أن يَهتَدوا لِمَسارِ النُّورِ سِرتَ بِهِ
وَكُلُّهُم بِشُعاعٍ مِنكَ يَنجَذِبُ!

* * *

يا أيُّها القدّيس
يحمل صمتَـهُ حملَ الآذانِ!

في ذكرى عبد الجبار عبد الله

عام ١٩٩٥

هـــذا أوانُـــكَ لا أوانـــي ورِهـانُ مجـدِكَ لا رهـاني

وصَـــداكَ أنــت المــاليءُ الــدُّنيا.. فمــا جَــدوى بَيــاني؟

مَرمــاكَ أوسَــعُ مِــن يَــدي وَثَــراكَ أبلــغُ مــن لــساني

وسَـــــناكَ أبعَـــدُ في المـــــروءةِ أن أَراهُ، وأَن يَرانــــي

وَحــضورُكَ البــاقي.. وكــلُّ حــضورِ مَــن وَلَــدوكَ فــاني!

يــا مَــن لَــهُ كــلُّ المكــانِ ولــيس يَملــكُ مِــن مكــانِ!

هـــذا أوانُـــكَ لا أَوانـــي وَدِنــانُ عُرسِـكَ لا دِنــاني
فـــإذا أتيتُـــكَ زائـــراً فاعذُرْ رَفيفَ هَوىً دعاني
في كـــلِّ عـــامٍ يَـــشرئبُّ دمـــي إليـــكَ أبـا سِـنانِ
لــي مهرَجـانٌ فيـك يَبـدأُ قبـــلَ بَـــدءِ المهرجـــانِ!
ويَهيـــبُ بـــي مَرقـــاكَ.. أصـــعَدُهُ، فيَعثَـــرُ بـــي عِنـــاني
مَبهـــــورَةً أَنفاسُـــــهُ مـــا بـــين زَهـــوٍ وافتِتـــانِ

يـــا أيُّهـــا القـــدّيسُ يَحمـــلُ صَـــمْتَهُ حَمـــلَ الأذانِ!
وتـــدورُ عُمْـــقَ الكَـــونِ أنجُمُـــهُ.. ونَحـــسَبُها دَوانـــي!
وأقـولُ قـد ألقـاكَ.. قـد يَرضى زمانُكَ عن زماني!
فـــأراكَ.. ألَمَـــحُ مقلَتَيـــك علـــى كتابِـــكَ تَحلُمـــانِ!

وأرى لجسمِكَ وهو مثلَ الطَّيفِ.. يعبرُ في ثَواني
فَأُحِسُّ كلَّ مُروءةِ الـ دنيا تُغَلغِلُ في كياني!
وأُحِسُّ ضَوءَكَ وهو يَملؤني، وَيمسَحُ مِن دُخاني!
ويُعيدُ لي صَفوي.. وَيمنَحُني شَجاعةَ أَن أُعاني!

عُذْرَ اليَراعِ أبا سِنانٍ إنْ تَلَجْلَجَ في بَناني
أنا كلَّما لامَستُ عالَمَكَ الوَديعَ بِعُنفواني
أحسَسْتُ أنَّ عليَّ أنْ أُغضي، وأخلَعَ صَولجاني!
فأَنا أمامَ سَنىً كأنَّ اللّهَ شاءَ بهِ امتحاني
وأمام خُلْقٍ ما رأيتُ لهُ بهذي النّاسِ ثاني
يا أنبَلَ الدُّنيا، وأحلَمَها.. ويا ثَبْتَ الجَنانِ

إنّــي رأيتُــكَ والحتــوفُ   مـن الـسِّنانِ إلـى الـسِّنانِ!
جَمَّــاً هــدوؤكَ والفحــولُ   يَؤودُهــا جَــذْبُ العِــرانِ!
في قلــبِ عاصــفةٍ وأنــتَ   علـى شُـحوبِكَ، كاليَمـاني!
تُحصي مَواقِـعَ أصدقائِكَ   بالــــدَّقائقِ والثَّـــواني!

مِــن أيِّ مائِــكَ وهــوَ ثَــرٌّ   أســـتَزيدُ أبـــا سِـــنانِ؟
ســأنِثُّ قــافيَتي.. عَـساني فيــكِ أطمُـشُها عَــساني!(*)
فــأقولُ جئــتُ مُحــاولاً   أَكــسوهُ.. هــا هــوَ قــد

قــالوا.. وأنــتَ تَمــوتُ.. كانــت مُقلَتــاكَ تُرَفرِفــانِ
كحَمـــامَتَين غَـــريقَتَينِ   عــن العِمــارةِ تَبحَثــانِ!

(*) أطمشُها: كلمة مندائية معناها «أعمّدها».

وبَقِيـــتَ حتـــى آخـــرِ الأنفـــاسِ تَلهَـــجُ في حَنَـــانِ
لـــو نَـــسمَةٌ هَبَّـــتْ بقَلعَـــةِ صـــالحٍ لـــكَ بالأمـــانِ! (*)
لـــو نَهرُهـــا نـــاداكَ آخِـــرَ مَـــرَّةٍ.. والـــشاطِئانِ
لـــو طوَّقـــاكَ فَنِمـــتَ في حُـضنَيهِما والفَجـرُ دانـي!
فتَـرى إلـى شـمسِ العـراقِ ومُقلتـــاكَ تُحَـــدِّرانِ!
مـــشبوبةٌ هـــي في الميـــاهِ وأنـــتَ مـــشبوبُ المَحـــاني!

عُـذْرَ اليَـراعِ أبـا سـنانٍ إنْ بَرَيْـــتُ، وإن بَرانـــي
أنـا في رِحابِـكَ والعيـونُ جَمـــيعُهُنَّ لَنـــا رَوانـــي
شَمـــسانِ مَنـــدائيَّتانِ بكـــلِّ حُـــبٍّ تُـــشرِقانِ!

(*) قلعة صالح: قضاء من أقضية ميسان عاش فيها عبد الجبار عبد الله طفولته وصباه.

تَهَبـــــانِ للبَــــشَرِ الغَــــضارَةَ، والمَحبَّـــــةَ، والأمـــــاني

وبكــلِّ مــا يُغْنّــي الهَــوى   جَرَيــانَ دَجلــةَ تجريــانِ!

فبــــــأيِّ آلاءِ الــــــذي   أعطَيتُمــــــاهُ يُكـــــذِّبانِ؟!

* * *

يا شيخَ شعري

في رثاء الجواهري

كتبت في اليوم الثالث لوفاته

لا الــشِّعرَ أبكيــهِ، لا الإبــداعَ، لا الأدَبــا
أبكــي العــراقَ، وأبكــي أُمَّتــي العَرَبــا

أبكــي علــى كــلِّ شَــمسٍ أهــدَروا دَمَهــا
وبَعــدَما فَقَــدوها أســرَجُوا الحَطَبــا!

أبكــي علــى وَطَــنٍ يَبقــى الأديــبُ بِــهِ
لــيسَ الغَريــب، ولكــنْ أهلُــهُ غُرَبــا

أبكـي علـى النَّخـلِ يـا مَـن أنـتَ صـاحِبُهُ
وأنــتَ ســاقِيهِ قَرْنــاً مــاءَكَ العَــذِبا

وراحَ حتـــى العِـــدا يَجنونَـــهُ رُطَبـــاً

وأنــتَ تَعلِــكُ منــهُ الــسَّعْفَ والكَرَبــا!

أبكـــي لأهـــوارِ أهلـــي الآنَ بَلْقَعُهـــا

يَبكـي فَيُبكـي بِهـا البَـرْديَّ والقَـصَبا

وَإذْ مُهـــــاجِرَةُ الأطيـــــارِ تَبلُغُهـــــا

تَبكــي وَتُمْعِــنُ عــن قِيعانِهــا هَرَبــا!

أبكـي الفُـراتَين.. هَـل تَـدري مياهُهُمـا

بــأنَّ أعظــمَ مَــن غَنَّــى لَهــا ذَهَبــا؟

لا (دجلــةُ الخيــر) ألــوَتْ مِــن أعِنَّتِــهِ

ولا الفُــراتُ بِخَيــلِ المَــوتِ فيــهِ كَبــا

كأنَّـــهُ لـــم يَكُـــنْ يَومـــاً نَـــديمَهُما

ولا أدارَ هُنـــا كأســـاً، ولا شَـــرِبا

ولا جَــرى دَمعُــهُ مــا ســالَ دَمعُهُمــا
ولا تَنَـــزَّى دِمــاءً كُلَّمـــا اختَــضَبا

يــا حامِــلَ الــسَّبعِ والتِّــسعينَ مُعجِــزَةً
أقَلُّهــا أنَّهــا لــم تَعــرِفِ الرَّهَبــا

لكنَّهــا عُمْــرَ قَــرْنٍ كامِــلٍ عَرَفَــتْ
أنْ تُــستَفَزَّ، وأن تُــوري الــدُّنا غَــضَبا!

يُقــالُ أرهَــبُ مــا فِي المَــوتِ وَحْــشَتُهُ
نَفْــسي فِــداكَ، هــل استَوحَــشتَ حــينَ

وهَـــل شَـــعَرتَ اغتِرابـــاً فِي مَعِيَّتِـــهِ؟
قَــضَيتَ عُمــرَكَ يــا مَــولايَ مُغتَرِبــا!

وهَــل صَــمَتَّ اضــطِراراً، أو مُجانَفَــةً؟

أم كنـــتَ أبلَـــغَ أهـــلِ الأرضِ مُنـــشَعِبا؟!

وهَـــل تُوُفِّيـــتَ فِعـــلاً، أم وَلِـــدتَ بِـــهِ؟!
إنِّـــي رأيتُـــكَ مِـــلءَ المَـــوتِ مُنتَـــصِبا

حتـــى لَقَـــد ضَـــجَّت الـــدُّنيا بِمـــا نَـــشِبَتْ
أظفـــارُ مَجـــدِكَ فيـــهِ لا بِمـــا نَـــشِبا!

يـا شَـيخَ شِـعري، ويـا شَـيخي وَشَـيخَ دَمـي
مَـــن لـــي بـــأنْ أفتَـــديكَ الآنَ مُحتَـــسِبا؟

مَـــن لـــي بِـــأنْ أُرجِـــعَ الأيَّـــامَ دَورَتَهـــا
فَأســـتَعيدَكَ بَحـــراً زاخِـــراً لَجِبـــا

يَلـــوي يَـــدَ الـــرِّيحِ لا تَلـــوي أعِنَّتَـــهُ
وَيَلطِـــمُ الجَبَـــلَ الجَلمـــودَ مُحتَرِبـــا

سَـــبعونَ عامـــاً، ولِلطـــاغوتِ رَهبَتُـــهُ
مـــا راءَكَ النَّـــاسُ، أيُّ النَّـــاس، مُرتَهِبـــا

بَـــل والِجـــاً كَولـــوجِ المَـــوتِ دورَهُمُـــو
مُهَتِّكـــاً عَـــنهُمُ الأســـتارَ والحُجُبـــا

مُغاضِـــباً مثـــلَ صِـــلِّ الرَّمـــلِ، مُنـــصَلِتاً
لِلـــرِّيحِ.. لا عَطَـــشاً تَـــشكو ولا سَـــغَبا

في حـــينِ بَيتُـــكَ أغـــصانٌ مُهَدَّلَـــةٌ
تَـــذوي، وأجنِحَـــةٌ أبقَيْتَهـــا زُغُبـــا

مُرَفرِفـــاتٍ علـــى الأوجـــاعِ، داميَـــةً
وأنـــتَ تَرنـــو إليهـــا مَـــشفِقاً حَـــدِبا

وكُلَّمـــا مـــالَ مِيـــزانُ الأبِ انتَفَـــضَتْ
أُبُـــوَّةُ الـــشِّعرِ في جَنبَيـــكَ فانقَلَبـــا!

قـالوا هَرِمـتَ.. وَعُمـري لـم أجِـدْ هَرِمـاً
مَـــرآهُ يَمـــنَحُ حتـــى المَيِّـــتينَ صِـــبا!

وَدَدْتَ واللّهِ لـــو أُعطيـــكَ مِـــن عُمُـــري
عُمـراً لِيُـصبِحَ لـي إنْ أنتَـسِبْ نَـسَبا!

يـا ذا المُـسَجَّى غَريبـاً والعـراقُ هُنـا
يَـــشُقُّ قُمـــصانَهُ في البُعـــدِ مُنتَحِبـــا

وتَـــصرَخُ النَّجَـــفُ الثَّكلـــى مُرَوَّعَـــةً
رَجْـــعُ المـــآذِنِ فيهـــا يُفـــزِعُ القُبَبـــا

وأنـــتَ تَنـــأى فَتَلـــوي ألـــفُ مِئذَنَـــةٍ
رِقابَهـا، ويَـضُجُّ الـصَّحنُ مُـضطَرِبا!

وَلِلجِبـــالِ بِكُردِســـتانَ نائِحَـــةٌ

تَبكـــي اليَنــابيعُ، والغابــاتُ، والرَّشَـــبا

مِـــن بيـــرَه مَكـــرونٌ يَمتـــدُّ العَويـــلُ بِهـــا
حتـــى تَـــراهُ علـــى حمِـــرين مُنـــسَكِبا!

أمّـــا الجَنــوبُ فَيَــدري المــاءُ مــا هَجَعَــتْ
حِمريَّـــةٌ فيـــهِ، أو هَبَّـــتْ عَليـــهِ صَـــبا

إلا جَـــرَتْ أدمُعـــاً خُرْســـاً شَـــواطِئُهُ
وجاءهـــا دَمـــعُ كـــلِّ النَّخـــلِ مُنـــسَرِبا!

أبـــا فُـــراتٍ.. أبـــا روحـــي وقـــافيَتي
ومـــا عَرَفـــتُ لأوجـــاعي سِـــواكَ أبـــا

مِـــن يَـــومِ فَتَّحـــتُ عينـــي والعـــراقُ دَمٌ
يُطــوَى فَتَهتِــكُ عــن طُوفانِــهِ الحُجُبــا

مُعاتِبــــاً تـــارَةً.. مُـــستَنكِراً أبَـــداً
مُغاضِــباً.. ســاخِراً حينـــاً، ومُكتَئِبـــا

لكـــنْ تَظَـــلُّ علـــى الحـــالاتِ أجمَعِهـــا
شَـوكَ العـراقِ الـذي يُـدمي إذا احتُطِبـا!

عَلَّمتَنـــي مُـــذْ شَـــراييني بَـــرَتْ قَلَمـــي
كيـــفَ الأديـــبُ يُلاقـــي مَوتَـــهُ حَرِبـــا

وكيـــفَ يَجعَـــلُ مِـــن أعـــصابِهِ نُـــذُراً
حينـــاً، وَحينـــاً نُـــذوراً كُلَّمـــا وَجبَـــا

وكيـــفَ يَـــصعَدُ دَربَ الجَمـــرِ مُـــشتَعِلاً
مُجانِفــاً.. عَــصَبٌ يُــدمي بِــهِ عَــصَبا!

عَلَّمتَنـــي كيـــفَ أُهـــدي لِلعـــراقِ دَمـــي
شِــعراً، وأخــشى العــراقيِّين إن نَــضَبا!

[مِــن قَبــلِ قَــرْنٍ لــو انَــا نَبتَغــي عِظَــةً
وَعَظتَنــا أن نَــصونَ العِلــمَ والأدَبــا!]

* * *

سلامٌ أبا فخري عليك

في رثاء السيد مرزه القزويني

١٩٦٤

ألا إنَّ خَطْـبَ المـوتِ فيـكَ جَليـلُ
وبَعـــدَكَ كـــلُّ الـــذَّاهبينَ قَليـــلُ

وبَعـــدَكَ كـــلُّ النَّـــازلاتِ تَوافِـــهٌ
وكـلُّ الـذي أسـعى إليـهِ هَزيـلُ

وكنــتُ جَزوعــاً في الأذى فتَركتَنــي
وعنـدي لكـلِّ الفاجعـاتِ قَبـولُ

ألا ليـتَ أنّـي مـا عَرَفتُـكَ سـاعةً

إذن كــانَ حُزنــي عَبــرةً ويَــزولُ

وَلكــنْ يَــشاءُ اللّهُ لــي أنْ تُجيرَنــي
وأن تَحتَفي بي والخطوبُ تَصولُ

ومـا كِدْتُ أدنـو منـكَ حتَّـى رَزأتَنـي
فيـا ليـتَ أُمِّـي بـي عليـكَ ثَكـولُ!

ومــا كنــتَ فَـرداً إذ فقَـدتُكَ إنَّمــا
أخٌ وأبٌ في واحـــــدٍ وخَليـــــلُ

يقولــون إنَّ الــصَّبرَ في كـلِّ حالــةٍ
جميلٌ، وَهَل صبرٌ عليكَ جميلُ؟

سَــلامٌ أبــا فخــري عليــكَ أُطيلُــهُ
بَلــى، وســلامُ الأصــدقاءِ طويــلُ

وكـــانَ عِناقـــاً كـــلَّ يـــومٍ لقاؤنـــا
فَهَـل لِفَـمٍ يَـسعى إليـكَ سَـبيلُ؟

وَهَـــل لِيَـــدٍ باركتَهـــا إذ لَمـــستَها
رواءُ سَـــلامٍ مثـــلِ ذاكَ خَـــضيلُ

أُسَـلّمُ رَغـمَ الهَـمِّ، وَجهـيَ ضـاحكٌ
لأنَّ سـنىً مِـن ناظرَيـكَ كَفيـلُ

أنـا اليـومَ أسـتَعفيكَ أنّـي مُـسَلّمٌ
عليـكَ ومِـدرارُ الـدُّموعِ يَـسيلُ

أنـا اليـومَ أسـتَعفيكَ أنّـيَ مُنـشِدٌ
وكنـتُ عَيِيّـاً حيـثُ أنـتَ قَـؤولُ

رَجَـوتَ سَـماعي فاعتَـذَرتُ مُغمغِمـاً
فكـلُّ حـديثٍ مِـن سِـواكَ دَخيـلُ

لقد كنتُ أستَحييكَ حَيَّاً، وها أنا
وَحَقِّكَ، رغمَ الموتِ، منكَ خَجولُ

فَصَمتُكَ هذا اليومَ أبلَغُ ناطقٍ
وقولي وقولُ الآخرينَ فُضولُ

ثَكلتُكَ مِن ناعٍ يَصُكُّ مَسامِعي
لهُ مِدْيَةٌ بينَ الضُّلوعِ تَجولُ

ثَكلتُكَ تَنعى كلَّ خيرٍ وطيبةٍ
أما كانَ في هذي الألوفِ بَديلُ؟

أما كانَ في هذي الخُشارةِ مَقصَدٌ
لِسهمٍ أصابَ المجدَ فهوَ قَتيلُ

تَنادَيْتَ باسمٍ يعلمُ اللّهُ أنَّهُ

وَصــولٌ لكــلِّ المكرُمــاتِ فَعــولُ

فـسالَتْ بـكَ الآمـاقُ دمعـاً مُخضَّباً
ومالَـتْ لـكَ الأعنـاقُ حيـثُ تَميـلُ

سـلامٌ أبـا فخـري عليـك، وإنّنـي
لأُكبِـرُ أنَّ الرَّاسـياتِ تَـزولُ

وأنَّ بِحـاراً بـينَ يـومٍ وليلـةٍ
تَجِـفُّ، وتَغـدو بَلقَعـاً، وتَحـولُ

بَلـى، وَمعـاذَ اللهِ، مـا كنـتُ نـاكراً
ولكـنَّ وَطْـءَ المـوتِ فيـكَ ثَقيـلُ

سـلامٌ أَبـا فخـري عليـك، ودونَـهُ
علـى رغمِنـا، تُـربٌ عليـكَ مَهيـلُ

يَميناً بما بَيني وبَينَكَ إنَّني
لِقلبيَ ما بين الضُّلوعِ مَسيلُ

أمرُّ على الدِّيوان حيثُ يَلُمُّنا
ولي ناظرٌ عن مُتَّكاكَ كَليلُ

وأجلسُ مَذهولاً غريباً، ولم يَكنْ
يَرينُ على وَجهي لدَيكَ ذهولُ

وكيف ذُهولي عنكَ إذ كلُّ لَفتَةٍ
تَلَفَّتَها للصالحاتِ دَليلُ

وإذْ أنتَ لِلشَّاتينَ دِفءٌ ورَحمَةٌ
وللقائظينَ المُتعَبين مَقيلُ

وبيتُكَ للمُستَضعَفين حِمايةٌ
وهَدْيٌ لكلِّ العاثرين مُقيلُ

فيــا بــاذخَ الأمجــادِ فيــكَ ازوِرارَةٌ
ويــا يــانعَ الأعــوادِ فيــكَ ذبــولُ

ويـا كاتبـاً «أهـلاً وسـهلاً بمَـن أَتـى»
أَتـــاكُم أَتـــاكُم وافِـــدٌ ونَزيـــلُ

فمـا لـي أرى ديـوانَ بيتِـكَ خاويـاً
وقـــد مَلأَتْـــهُ رَنَّـــةٌ وعَويـــلُ؟

وَمالَـكَ يـا طَلْـقَ الـشَّمائِلِ حُلوَهـا
سَـكَتَّ ومنـكَ القـولُ حـين تَقـولُ؟

ألا مَرحَباً تُزجَى؟ ألا بعضُ مَرحَبٍ
بـصوتِكَ يـا مَـن يَحتفـي ويُنيـلُ؟

لقـد كنـتَ أَوفى النـاسِ حـين كتبتَهـا

لِتَبقـى إذا مـا حـان منـكَ رَحيـلُ

سـلامٌ أبـا فخـري عليـكَ فـدَهرُنا
بمثـلِـكَ يـا خيـرَ الرِّجـالِ بَخيـلُ
تَـشاءُ لـيَ الأقـدارُ لا دَرَّ دَرُّهـا
وفـاءً لِـدَينٍ مـا إليـهِ وصـولُ

بَكـى جَـدُّكم جَـدِّي، وهـا أنـا جـازعٌ
عليـكَ، وخَلفـي لِلمنيَّـةِ غُـولُ(*)

يَمينـاً إلـى لُقيـاكَ أبقـى مُـسلِّماً
عليـكَ.. صـباحٌ ينطـوي وأصـيلُ..

(*) إشارة إلى رائعة الشريف الرضي في رثاء أبي إسحق الصابي.

* * *

النَّخلُ لا تنحني إلاّ ذوائبُهُ

في حـادثٍ فـاجع، في نيـسان ١٩٨٧ فقـد الـرئيس البكـر ولـده. هـذه القصيدة كُتبت في احتفالات نيسان من العام نفسه.

جَــلَّ ابتــسامُكَ عــن حُــزنٍ يواكِبُــهُ
أقبِــلْ، وإنْ كــان دمــعٌ أنــتَ ســاكِبُهُ

لا بـأسَ نيسان.. بعضُ الـدَّمعِ مَكرُمَـةٌ
وشَــيخُكَ الآن في صَــمتٍ يُغالِبُــهُ

لا بــأسَ نيــسان.. أدري أنَّــهُ شَــطَطٌ
مِــن الزَّمــان، وشَــيخي لا يُعاتِبُــهُ

رجولَــةً، غيــرَ أنَّ الــشَّمسَ قــد كَلِفَــتْ
وأنَّ فَجــرَكَ، رُغمــاً، مــالَ جانِبُــهُ

يــا سَــيِّدي كُــنْ عَــذيري أنَّ فيَّ أبــاً
وَقلــــبُ كــــلِّ أبٍ قلبــــي يُراقِبُــــهُ

فَكيـفَ إن كنـتَ أنـتَ القلـبَ.. مَعـذِرَةً
إنَّـا علـى الحُـزنِ نَنـسى مَـن نُخاطِبُـهُ!

أقـولُ صَـبراً؟.. لمـاذا؟.. مَـن يُخَـوِّلُني
هـذا؟.. وأكـرمُ صـبرٍ أنـتَ صـاحبُهُ

لا تَحـزَنَنْ؟.. تَجـرؤ الألفـاظُ؟.. أيُّ فَـمٍ
يَقولُهــا؟.. ثمَّ مَــن ذا لا يُحاسِــبُهُ؟

يَلــوحُ لــي سَـيِّدي أنَّ الزَّمــانَ علــى
قَــــدْرِ المــــروءةِ تأتينــــا عَواقِبُــــهُ

إنَّ الكبيــــرَ كبيــــراتٌ مُدَوِّيَــــةٌ
أمجــــادُهُ، وَكبيــــراتٌ مَــــصائِبُهُ!

يــا أيُّهــا الرَّجــلُ الــ تَبقــى أُبوَّتُــهُ

كَخَيمَـــةِ اللَّيـــلِ تأويهـــا كواكبُـــهُ

يَـــسيلُ جُـــرحُ ضَــياءٍ في حُــشاشَتِهِ

لــو جانــبٌ مِــن سَــناها خَــرَّ ثاقِبُــهُ

لكــنْ يَظلــلُّ مَهيــبَ الـصَّمتِ مُـشتَمِلاً

بِكِبْـــرِهِ، مُـــستَقيماتٍ مَناكِبُـــهُ!

رجولَـــةٌ أنَّ وَجْـــهَ الجُـــرحِ مُنكَـــتِمٌ

وإنْ تَفَجَّـــرَ في الأعمـــاقِ شـــاخِبُهُ

رجولَــةٌ أنَّــهُ مــا شــالَ مِــن عَجَــبٍ

يَومـاً، ولا انحَـطَّ عنـدَ الهَـمِّ حاجِبُـهُ!

يَبقـى المُحـيطُ مَهيبـاً، هادِئـاً.. ولَقَـد

تَغلــي بِمــا لا تَــرى عــينٌ غَياهِبُــهُ!

يـا سَـيِّدي إنَّ بعـضَ الـشِّعرِ مُنفَجَـرٌ
مِـــن الـــضَّميرِ، تُلَبِّيـــهِ رَواسِـــبُهُ
تَجــيشُ بــالهَمِّ، كـلِّ الهَــمِّ، فَورَتُــهُ
وَتَجمَــعُ الحُــزنَ طُوفانــاً مَــسارِبُهُ
مِـن لَثغَـةٍ.. مَهْـدِ طِفـلٍ فـارِغٍ.. لُغَـةٍ
نَعتادُهـــا. أمَـــلٍ كُنّـــا نُداعِبُـــهُ
ثُـــمَّ انتَهـــى تارِكـــاً ظِـــلاًّ يُطالِعُنـــا
وَمَوضِـعاً صَـوَّحَتْ فيـهِ مَلاعِبُـهُ!
يـا سَيِّدي، حُـزنُ كـلِّ الأرضِ تُبـصِرُهُ
في مَرفَـأٍ رَحَلَـتْ عَنـهُ مَراكِبُـهُ!

يـا والِـدَ الـشِّبْلِ مَجـدولاً تَـسيرُ بِـهِ

وَهْنــاً علــى دَمِــهِ الزَّاكــي قَوارِبُــهُ

بِمَــنْ أُعَزِّيــكَ؟.. في لبنــانَ إخوَتُــهُ

دمٌ تَجــيشُ بــلا ذنــبٍ غَواربُــهُ

بِمَـنْ أُعَزِّيكَ؟.. هُـم أولادُكَ الـ قُتِلـوا

بـالأمسِ في مَجْمَـرٍ ضـاقَتْ مَذاهِبُـهُ

فَفَرَّجُوهــا بــأزكى مــا بِهِــم، دَمِهِــم

صــانَتْ كَريمَــةَ مَــروانٍ كَتائِبُــهُ!

بِمَــنْ أُعَزِّيــكَ؟.. هُــم أهلــوكَ مَــن

علــى فلــسطين.. مَــسلوبٌ وســالِبُهُ

تَعــاوَرُوا دَمَــهُ.. يَغلــي فَتَــسفَحُهُ

حينــاً عِــداهُ، وأحيانــاً أقارِبُــهُ!

يــا ســيّدي.. أنْ تُواســي أُمَّــةٌ رجُــلاً

بنَجلِـــــهِ، فتُواســـــيها مَناقبُــــــهُ

مجـدٌ، وإنْ كـان يُـدمي قلـبَ صـاحبهِ

ذيّـاكَ جـرحٌ ضـميرُ الـشَّعبِ عاصِـبُهُ

مـا الثَّكـلُ ثكلَـكَ.. مـوتُ الحـرِّ مـأثَرةٌ

جـــرحٌ كـــريمٌ مُـــضيئاتٌ مَـــساكبُهُ

الثَّكــلُ ثكــلُ الـــذي ماتـــتْ مُروءتُـــهُ

فمـــا تَنـــزُّ سُـــوى قَـــيْحٍ مَـــضاربُهُ!

الثَّكـلُ ثَكـلُ الـذي لـم يَبـقَ منـه سـوى

شَـــتيمةٍ أبَـــدَ الـــدُّنيا تُـــصاحبُهُ

إنَّ الـــذي هـــزّتْ الـــدُّنيا خيانَتُـــهُ

غيـــرُ لـــذي هـــزَّتْ الـــدُّنيا نَوائبُـــهُ!

يـا أيُّهـا الرَّجُـلُ العِمـلاقُ، مـا كَـدِرَتْ

إلا بِمَـــوتِ الـــذي يَهـــوى مَـــشارِبُهُ

تَألَّقَـــتْ صُـــعُداً أيّامُـــهُ، وَسَـــمَتْ

أعلامُـــهُ، وَزَكَـــتْ فَرعـــاً نَجائِبُـــهُ

وطـــالَ حتـــى كـــأنَّ الـــشَّمسَ هامَتُـــهُ

وصـــالَ حتـــى كـــأنَّ المَـــوتَ صـــاحِبُهُ

وصـــادَمَتْ رُجُـــمَ الـــدُّنيا كَتائِبُـــهُ

وَزاحَمَـــتْ قِمَـــمَ الـــدُّنيا مَواكِبُـــهُ

هـــذا التُّـــرابُ الـــذي تَبقـــى سِـــقايَتُهُ

دَيْنـــاً، وكـــلُّ أخـــي دَيْـــنٍ نُطالِبُـــهُ

شـــارَكتَ أهلَـــكَ فيـــهِ إذ جَرَيـــتَ لَـــهُ

دَمـــاً أعَـــزُّ عِبـــادِ اللهِ ســـاكِبُهُ!

يـــا سَـــيِّدي كـــلُّ مَولـــودٍ لَـــهُ أجَـــلٌ

وكــــلُّ مَـــوتٍ طَـــويلاتٌ مَخالِبُـــهُ

لكــنْ يُقَــصرٌ منهــا أنْ تَحُــطَّ علــى

جَلْــدٍ، وَإنْ هِــيضَ، تَلريــ ـــبِــ.

يـا أيُّهـا الرَّجُـلُ العِمـلاقُ جَـذرُكَ مِـن

هــذا التُّــرابِ، ومــا تَفنــى عَجائِبُــهُ

تَهُـــبُّ كـــلُّ ريـــاحِ الأرضِ عاصِـــفَةً

والنَّخـــلُ لا تَنحَنـــي إلا ذَوائِبُـــهُ!

وتَـــستَغيثُ جِـــراحُ الأرضِ أجمَعُهـــا

وَجُرحُنـــا أبَـــداً خُـــرْسٌ نَوادِبُـــهُ!

يَظَـــلُّ يَزخَـــرُ مِـــن كِبْـــرٍ وَمَوجِـــدَةٍ

حتـــى تَفَجَّـــرَ بُركانـــاً لَواهِبُـــهُ!

عُنْـفَ الفُـراتِ، إذا هِيـضَتْ مَنابِعُـهُ

فاضَـــتْ فأغرَقَـت الــدُّنيا غَوارِبُــهُ!

يــا أيُّهــا الرَّجُــلُ العِمــلاقُ مَعــذِرَةً

لا يُتْبِــرُ الـــدَّهرَ إلا مَـــن يُواثِبُـــهُ

إنِّــي رأيــتُ إلــى الأقــزامِ تُخْطِــئُهُم

لِفَــرْطِ مــا صَــغُروا جُرْمــاً، نَوائِبُــهُ

أولاء لا فَقْـــدُهُم أبكـــى، ولا دَمُهُـــم

زَكَّـــى، ولا مَيْـــتُهُم قامَـــتْ حَرائِبُـــهُ

لكـــنَّهُم هَمَـــلُ التـــاريخ، تَلفُظُهُـــم

أدنـــــى ذُراهُ، وتُـــؤويهِم خَرائِبُـــــهُ

فَيــا كبيــراً علــى الأحـداثِ، مُنـصَلِتاً

لِلنّــــازِلاتِ، مُعَـــــدّاتٍ رَكائِبُـــــهُ

مَحَـــشَّداتٍ بِـــلا لِـــينٍ تَجارِبُـــهُ
مـــؤَجَّلاتٍ إلـــى حِـــينٍ غَواضِـــبُهُ

لا أنَـــزَلَ اللّهُ قَـــدْراً أنـــتَ رافِعُـــهُ
ولا أطـــاحَ سَـــناماً أنـــتَ غارِبُـــهُ

ولا تَـــزَلْ أُمَّـــةٌ يَهـــدي مَـــسيرَتَها
سَـناكَ يـا مِـشعَلاً نَبقـى نُراقِبُـهُ..!

* * *

بين يَدَي عبد الرحيم عمر..

كتبت هذه القصيدة في الطريق إلى عمان. وافتتح بها مهرجان الرَّمثا الشعري بُعَيد وفاة شاعر الأردن الكبير عبد الرحيم عمر.

قَـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رِحـــالي

فمَآلُنـــــا نَفـــــسُ المَـــــآلِ

نَفـــــسُ المَفـــــازَةِ والخُطـــــى

لكـــنْ سَـــبَقتَ أبـــا جَمـــالِ!

أَدريــــكَ عُمـــــرَكَ غـــالِبي

لكـــنْ رِهـــانُ المـــوتِ غـــالي!

حتّـــى وأنـــتَ تَمـــوتُ، تـــأبى

أن تمـــوتَ وأنـــتَ تـــالي!

فـــــسَبقتَنا.. لـــــم تَلتَفـــــتْ

حتـــى لِبَيتِـــكَ وهـــو خـــالي!

قَـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رِحـــالي

واشـــبِكْ حِبالَـــكَ في حِبـــالي

فأنـــا وَحيـــدٌ، واهـــنُ الـــ

خُطُـواتِ.. مُرتَجِـفُ الظِّـلالِ

متَغـــــرِّبٌ حَـــــدَّ الـــــضَّياع

مؤجَّـــــلٌ حَـــــدَّ المَـــــلالِ

لا وُتِّـــرَتْ قوســـي كعهـــدِكَ

بـــي.. ولا رِيـــشَتْ نِبـــالي

لكـــــنْ أعـــــيشُ ولا تَـــــسَلْ

مـــاذا أعـــيشُ علـــى اكتِهـــالي

وأســـــيرُ.. هـــا أنّـــذا أســـــيرُ

مـــع القطيـــعِ بـــلا ســـؤالِ

وعـلامَ أسـألُ..؟.. مَن سأسـألُ؟؟

مَــــــن بأســــــئلَتي يُبــــــالي؟

وطريقُنـــــا هــــــذي المَتاهــــــةُ

والـــــدَّليلُ أبـــــو رُغـــــالِ!

قـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رحـــالي

واغفِـــرْ شَـــكاتيَ وانفِعـــالي

خمــــــسونَ عامـــــاً والأكُـــــفُّ

علـــى الزِّنـــادِ أبـــا جمـــالِ

خمـــسونَ عامـــاً.. أنـــتَ تَـــذكرُ

كَـــم مِـــن الغُـــرَرِ الغَـــوالي

أنـــــــــــــــــشدتَهُنُّ وردَّدتَ

أصـــــداءها معَـــــكَ اللَّيــــالي

خمـــــسونَ عامـــــاً والمَـــــآذنُ

تَـــــستَفيقُ علـــــى بِـــــلالِ!

خمـــــسونَ عامـــــاً والـــــصَّلاةُ

تُقـــــامُ موحِـــــشَةَ الجَـــــلالِ!

ودماؤنـــــا تَجـــــري، ونحـــــنُ

نُمِـــــدُّهنَّ بـــــلا كَـــــلالِ

خمـــــسونَ عامـــــاً جُنِّـــــدَتْ

حتَّـــى الحجـــارةُ في القتـــالِ!

حتَّـــى الــصِّغارُ نَمَــوا وَشـــابُوا

بـــــين هاتيـــــكَ الـــــصَّوالي

وألآن.. هــــــا أنَـــــذا أمـــــامَ

حــــضورِكَ الجَـــمِّ الكَمـــالِ

أتَـــرى إلـــى النُّقـــصانِ فِيَّ؟!

وهــل تُحِـسُّ مَـدى انخِـذالي؟؟!

لـــو كنـــتَ تُبـــصِرُني لِتَعــرِفَ

أيُّ مَذبَحَــــــــةٍ بِبـــــــالي

وأنـــــا أرى وطَنـــــي يُبـــــاعُ

وكـــــلَّ زَرعـــــي للــــزَّوالِ

ودمــــــــاءَ أولادي أمـــــــامي

تَــــستَحيلُ إلـــى احتِفـــالِ

تَتَـــصافَحُ الأيْـــدي عليهـــا

وهـــي تُـــشرَبُ للثُّمـــالِ!

ومَحـــارِمي.. وأنـــا أقـــولُ

لهـــا: أمـــوتُ ولـــن تُنـــالي

وإذا بهـــا مِـــن مَولـــدي

قـــد هُيِّئَـــتْ للإحـــتلالِ!

فـــإذا اشـــتَعَلْتُ فـــأيُّهُم

لا يُـــستَفَزُّ مِـــن اشـــتعالي؟

وإذا رمَيْـــتُ فَمَـــن يَـــدي؟

وإذا انتَخَيـــتُ فَمَـــن رِجـــالي؟!

الحَمـــــــدُ للّهِ الـــــــذي

خــــذَلَ الأوائِـــلَ بـــالتَّوالي!

الحَمــــــــــدُ للّهِ الــــــــذي
دفــعَ الــيقينَ إلــى الــضَّلالِ!

الحَمــــــــــدُ للّهِ الــــــــذي
تَــركَ الــرّؤوسَ بــلا عِقــالِ!

هـــــذي نهايــــاتُ المطــــافِ
وتلـــك خاتمــــةُ النِّـــضالِ!

قَــرِّبْ رِحالَــكَ مــن رِحــالي
وارفُــقْ وأنــتَ تــرى هُزالــي

أنــــا فِي زمــــانٍ لا يُعــــينُ
ولا يُعـــــانُ بــــأيِّ حـــــالِ!

أذنابُــــــهُ عَــــــدَدَ الحَــــــصى

وذئابُــــــهُ عَــــــدَدَ الرِّمـــــــالِ

وَرَحــــاهُ مـــــا تَنفَـــكُّ تَطحَـــــنُ

أهلَــــــهُ حتَّــــــى الثِّفـــــــالِ

فــــإذا التَفَـــتُّ إلـــى الـــيَمين

أو التَفَــــتُّ إلـــــى الــــشِّمالِ

أكـــوامُ مَطحـــونينَ مَـــدَّ العـــينِ

ماثلـــــــــــةٌ حِيـــــــــــالي

وَرُكــــــــامُ مَطعـــــــــونينَ، لا

في الجــسمِ، لكــنْ في الخِــصالِ

سَـــــقَطَ الزَّمـــــانُ فأهلُـــــهُ

يَتَــــــسابقونَ للابتِــــــذالِ!

يَتَبجَّحـــــــون بـــــــأنَّهم

نَـصَروا الحـرامَ علـى الحـلالِ

وبـــــــأنَّهُم يتَهـــــــافَتونَ

علـــى الـــصَّغائرِ والـــسِّفالِ

وبـــأنَّ أقـــصى مـــا يؤمِّـــلُ

خَيِّـــرُهُم عـــيشُ المَـــوالي!

هـــذا زمـــانٌ مـــا حَلَمنـــا

أنْ يَجـــيءَ أبـــا جَمـــالِ

مَـــن مـــاتَ مـــاتَ، ومَـــن يَعِـــشْ

فللانتحـــــارِ أو الخَبـــــالِ

أو يَـــستَحيلُ، وعـــن رِضـــاهُ

نِخالَـــةً بـــينَ النِّخـــالِ!

أرأيـــتَ مَـــن منّـــا يُغـــالي؟
مَـــن يَـــستَفزُّ.. ومـــن يُمـــالي؟

مَـــن يَنحنـــي.. مَـــن يَـــستطيلُ
ومـــن يُطـــأطيءُ وهـــوَ عـــالي؟

ومَـــن الـــذي يَحـــتَجُّ حـــين
تُبـــاعُ أعـــراضُ الرِّجـــالِ؟

أنـــتَ احتَجَجـــتَ بكـــلِّ موتِـــكَ
واحتَجَجْـــــتَ بـــــالاعتزالِ!

وتَركتَنـــــا.. لـــــم تَلتَفـــــتْ
وأقَمْـــتُ مُنكَفـــيءَ الـــدِّلالِ!

أبكـــي علـــى وَطنـــي، وتَـــذبحُني

مَخافَـــــــةُ أن يُـــــــوالي

وأذودُ عنـــــــه بأضـــــلُعي
وأذودُهُ هـــوَ عـــن عيـــالي!

فـــانظُرْ إلـــيَّ وقـــد غَـــدَوتُ
أخـــافُ مـــن أهلـــي، وآلـــي

وأقَمْـــتُ في جُـــرحَين.. جُـــرحِ
يَـــدي.. وجـــرحِ أبـــي وخـــالي

وكلاهُمـــا.. يَفنـــى الزَّمـــانُ
ولا يَفـــــيءُ للانــــــدِمالِ!

لكنَّنـــــي عبـــــدَ الـــــرَّحيمِ
وحَـــقِّ بَيتِـــكَ وهـــو غـــالي

مـــا نِمْـــتُ يومـــاً والعـــراقُ

مُعَـــــــرَّضٌ للإغتيـــــــالِ!

كـــــلاّ، ولا أرخَيـــــتُ قوســـــي
وهـــــو مُــــشتَجِرُ النِّــــصالِ

لــــي فيـــهِ أَنَّ دمـــــي يَـــسيلُ
وأنَّ أورِدَتـــــــي تُلالـــــــي

وبأنَّـــــهُ عُمـــــقَ الـــــضَّمير
ديوان المراثي - م ٧
وحبُّـــــهُ عمـــــقُ الخيـــــالِ!

عبـــدَ الـــرحيم.. وقـــد نـــذَرتُ
دمـــــي، وجـــاوَزتُ احتمـــالي

ودخَلــــــتُ بيتَـــــكَ مثلَمـــــا
أدمَنْـــتُ في الحِجَــجِ الخَـــوالي

فرأيتُنـــــي.. والأهـــــلُ أَهلـــــي

والرِّئـــــالُ بـــــهِ رِئـــــالي

لكنَّنـــــي مثـــــلُ الغَريـــــب

تَكـــــادُ تُنكرُنـــــي ظِلالـــــي

وأقـــولُ: مـــا لـــي..؟.. صـــادقٌ

أنـا يـا تُـرى إن قلـتُ: مـا لـي؟!

مـــا لـــي مَنامُـــكَ في التُّـــراب

وكنـــــتَ عملاقـــــاً قِبـــــالي!

وجنـــــوحُ صَـــــوتِكَ للنُّعـــــاسِ

وكـــــان يَفتَـــــرِعُ الليـــــالي

ومَـــــآلُ تلـــــكَ الأريَحيَّـــــةِ

والفتـــــــوَّةِ للـــــــزَّوالِ

وبـــأنَّني أمـــسَيتُ أَدمـــى الـــ

ثـــــاكلينَ أبـــــا جمـــــالِ

ســـــــاءلتُ نفـــــسي إذ ذُرى

عمّـــان تَلمـــعُ في الجبـــالِ

والليـــلُ مُرخـــىً في الأزِّقـــةِ

والمنـــــازلِ.. والـــــدَّوالي

وأنـــا أَدورُ سُـــدىً بعينـــي

في الوهـــادِ، وفي الـــتّلالِ

لأرى لبيتِـــــكَ، إن تَـــــكُ

الأقمـــارُ مازالَـــتْ تُلالـــي

أتَـسمَّعُ الـضَّحَكاتِ.. والأسـمارَ

أنظُـــــــرُ للهِـــــــلالِ

فـــأراهُ يبكـــي فـــوقَ بَيتِـــكَ

وهـــوَ يَلمـــعُ في العَلالـــي!

ودخلـــتُ في عمّـــان.. منكَـــسِرَ

الخُطـــى.. وَجِـــلَ الـــذُّبالِ

أأزورُ قبـــــــــرَكَ.. أم أزورُكَ

في الـــصَّباحِ أبـــا جمـــالِ؟!

* * *

وداعاً أبـا سدير

في رثاء جبرا إبراهيم جبرا

١٩٩٥

في وَداعِكَ جبرا

سأستَحضرُ الآنَ بغدادَ من عُمقِ خمسينَ عامْ

لِتُلقي عليكَ السَّلامْ

شَناشيلُها، وأزِقَّتُها،

وفَوانيسُها في الظلامْ

وقَوارِبُها السَّابحاتُ لأُمِّ العِظامْ(*)

بدَرابِكها، والهَلاهلِ،

(*) أمّ العظام: جزيرةٌ في نهر دجلة.. في قلب بغداد.

والشَّمعِ يُسرَجُ في كَرَبِ النَّخلِ..

أستَحضرُ الآنَ بغداد

من نَومِ خمسينَ عامْ

لِتُبصرَ أنَّ الفتى الجاءَها من بلادِ الغَمامْ

وَفى.. فقَضى عُمرَهُ بين أحضانِها

وأغواهُ يوماً دُجاها فنامْ..

سأوقظُ بغدادَ جبرا

سأوقظ مَقهى حَسَنْ عَجْميَ الآن(*)

ومقهى الرشيد

والبرلمانْ

(*) حسن عجمي، والرشيد، والبرلمان: أسماء مقاهٍ مشهورةٍ في شارع الرشيد ببغداد وكانت تضجّ بالأدباء آنذاك.

وألتَمِسُ الآن «بدرا»(*)

أقولُ له إنَّ جبرا

وحيدٌ بحُفرَتِهِ

وهو لم يألَف الموتَ بَعدُ

فَساعِدُهُ

إنَّ وليدَ بنَ مسعود(* *)

يَقبلُ كلَّ الفَواجِعِ

إلاّ فَجيعةَ أن يَتركوهُ وحيداً

فَساعِدُهُ

(*) بدر: بدر السياب.

(* *) وليد مسعود: بطل رواية جبرا المشهورة.

سوف يَجيئُكَ «بدرُ» كعادتهِ

وأوراقُهُ البِيضُ تَحتَ وسادَتِهِ

قد يمرُّ على عجَلٍ بابنِ مردانْ(*)

يُخبِرُهُ أنَّ جبرا أتى

وتَعلَمُ أنَّ «حُسيناً» سيَفزَعُ كالطِّفلِ

يُفزِعُ أهلَ القبورِ جميعاً

ويَجهَلُ للآنْ

زهرةُ مردانْ

أنَّ القبورْ

وأنَّ القصورْ

(*) حسين مردان: شاعر عراقي كبير توفي في أواسط السبعينيات.

عالمٌ غيرُ عالَمِنا

يَجهلُ زَهرةُ مردانْ

أنَّ «قصائدَهُ العاريات» اكتَسَيْنَ قلوبَ العذارى(*)

وقلوبَ السُّكارى

وقلوبَ المُحبّين

يجهلُ أنَّكَ جئتَ لَهُ بِنَدى العاشقين

وليدَ بنَ مسعود..

وأُودِعْتَ كالناسِ قَبرا

وموتُكَ لا يُشبهُ الموتَ جبرا

(*) قصائد عارية: ديوان مشهور لحسين مردان.

رأيتُ إليكَ خلالَ الشهورِ الأخيرةِ

تُورِقُ.. تورقُ

حتّى انحَنَتْ تحتَ أحمالِهِنَّ جميعُ غصونِكَ

هل كنتَ تركضُ للموتِ جبرا بكلِّ حياتِكَ؟؟

أم كنتَ تَحجُبُهُ عنكَ

مُختَبئاً خلفَ نَبضِكْ

ومُختبئاً خلفَ رَفضِكَ

حَدَّ الفَزَعْ

حَسناً..

سأُنادي بُلَندَ وأكرمَ

أدعو رشيدَ بنَ ياسين

أدعو البُريكان[*]

أسألُهم أن يَعودوا بذاكَ الزَّمانْ

مِن بطونِ المقاهي العتيقه

والتّخوتِ الغَريقه

بالحكايات..

أيام كان أعزَّ سَعادتِنا

أنْ نؤلِّبَ مَوجاً على جُرفِهِ

ونُثيرَ أديباً على حَرفِهِ

(*) بلند الحيدري، أكرم الوتري، رشيد ياسين، ومحمود البريكان: أصدقاء جبرا وعصبته.. وهم مع بدر ونازك طليعة التجديد في الشعر العربي المعاصر.

كنتَ أنتَ،

ولم نَكُ نَشعرُ

مِحوَرَ كلِّ مُشاكسَةٍ

كنتَ تَرطمُ غيماً بغيمْ

وتنظرُ مبتَهجاً كيفَ يَشتعلُ البَرقُ

ثمَّ يَهلُّ المطَرْ..

الكتابةُ ليسَتْ بَطَرْ

هكذا كنتَ تُوحي لنا

دونَ أن تَتعالَم جبرا

وكنّا نهيمُ بهذا الفتى الجاءنا من بلادِ الغَمامْ

وفي قلبِهِ هاجسٌ لا ينامْ

أنَّ للحَرفِ جمرَتَهُ

أنَّ للشِّعرِ خَمرَتَهُ

أنَّ مَن يكتبُ الشِّعرَ بين النّبوءةِ والموتْ

قد يَفقدُ الصَّوت

لكنَّهُ قَطُّ لا يَتنازَلُ عن صَولجانِ نبوءتِهِ..

وها أنتَ ذا

بعدَ سبعين عاماً ونَيْفْ

وسبعين بَرْداً وصَيفْ

تتنازَلُ عن عَرشِ صوتِكَ جبرا

وتَسكنُ كالنَّاسِ قبرا

وسلامٌ عليكْ

أنتَ عُمرَكَ لم تَتنازلْ وليدَ بنَ مسعود

عن نجمةٍ في يَدَيكَ

ولهذا خَشِيتُ عليكَ من الموتِ جبرا

فكم كنتَ تَقلَقُ مِن أن يَجيءْ

وما برحَتْ بعدُ لؤلؤةٌ في مَحارتِها

وهيَ ترنو إليك..

* * *

ألقُ الصَّمت

في ذكرى رحيل الشاعر نزار قباني

أَلَـــقُ الـــصَّمتِ، وصَـــمتُ الأَلَـــقِ
يَـــــسبَحانِ الآنَ فـــــوقَ الــــورَقِ

مَــــــلاً أورِدَتــــــي أشـــــرِعَةً
مُمعِنـــــاً بَحَّارُهـــــا في الغَـــــرَقِ

وأنـــــا أرقَـــــبُ أطيافَهُمــــــا
والـــسَّنا، كـــلُّ الـــسَّنا، في حَـــدَقي!

أَلَـــقَ الـــصَّمتِ.. تُـــرى أيـــنَ مَـــضى
ذلـــكَ الـــصَّوتُ كـــأنْ لـــم يَنطِـــقِ؟

كيـــفَ هاتيـــكَ الـــرُّؤى أجمَعُهـــا

جَنَحَـــتْ مثـــلَ جنـــوحِ الـــشَّفَقِ؟

لـــم يَعُـــدْ غيـــرَ حـــروفٍ أنجُـــمٍ

وحَفيـــــفٍ جَرَيـــــانَ الغَـــــدَقِ

يَمـــــلآنِ الـــــرُّوحَ حُبَّـــــاً وَسَـــــنىً

وَجَمـــــالاً عاريـــــاً لا يَتَّقـــــي

كـــــلُّ مَـــــن يَعـــــشَقُ لا يُنكِـــــرُهُ

وَحـــدَهُ يُنكِـــرُ.. مَـــن لـــم يَعـــشَقِ!

أيُّهـــا الخـــالِقُ.. يـــا أبلَـــغَ مَـــن

صَـــوَّرَ الحُـــبَّ فلَـــم يَختَلِـــقِ

لـــم يُـــوارِبْ.. لـــم يَنَـــلْ أجنِحَـــةً

حَمَلَـــتْ رؤيـــاهُ ضِـــيقُ الأُفُـــقِ

عُمـــــرَهُ لِلحُـــــبِّ في ناموسِـــــهِ

حُرمَـــــةٌ، بَـــل ذِمَّـــةٌ فِي العُنُـــقِ

أن يُناجيـــــهِ نَبـــــيلاً فارِســـــاً
لا كَمـــا يَفعَـــلُ واهـــي الخُلُـــقِ

وَلِـــذا كـــانَ أميـــراً فِي الهَـــوى
وأســـيراً فيـــهِ سَـــقَّى وَسُـــقي!

يـــا نِـــزارَ الحُـــبِّ.. هَـــل مِـــن لُغَـــةٍ
تَحتَفـــي بـــي، وَلِـــسانٍ ذَلِـــقِ

يُـــسقِطُ المَيِّـــتَ مِـــن أحرُفِهـــا
وَيُبَقِّـــي ريـــشَها فِي طَبَقـــي

عَلَّنـــي أُفلِـــتُ مِـــن أجنِحَتـــي
لِـــدُنىً كُنّـــا عَليهـــا نَلتَقـــي

يَـــومَ كُنَّـــا نَمـــلأُ المِربَـــدَ فِي

ليـــــلِ بَغـــــداد بِـــــذاكَ العَبَـــــقِ

وَيَلُـــــمُّ الفَجـــــرُ مـــــن أقـــــدامِنا

مـــــا تَـــــوارى في زَوايـــــا الطُّـــــرُقِ!

يـا صـديقي.. يـا نَـسيبي.. يـا أخـي

يـــــا عِراقـــــيَّ الهَـــــوى والرَّهَـــــقِ

هَـــــل بَقايـــــا «مَرحَبـــــاً» تَـــــسمَعُها

منـــــكَ آذانُ العـــــراقِ المُرهَـــــقِ (*)

عَلَّهـــــا تَمـــــسَحُ مِـــــن أوجاعِـــــهِ

عَلَّهـــــا تَجمَـــــعُ بَعـــــضَ المِـــــزَقِ

عَلَّهـــــا تُـــــصبحُ أدمـــــى مَرحَبـــــاً

(*) إشارة إلى قصيدة نزار التي مطلعها:

مرحباً يا عراق، جئتُ أغنّيك وبعضٌ من الغناء بكاءُ

تَتَهـــادى نَحـــوَهُ مِـــن جِلَّـــقِ!

رُبَّمـــا بَلقـــيسُ تَـــصحو قَمَـــراً

باكيـــاً في الكـــرخِ عنـــدَ الغَـــسَقِ

فـــإذا لاقَيتَهـــا سَـــلِّمْ لَنـــا

قُـــلْ لهـــا: أهلُـــكِ.. هـــذا مـــا بَقـــي!

ربَّمـــا دجلَـــةُ تُخفـــي دَمَهـــا

وَتُغَطِّـــي مـــا بِهـــا مِـــن حُـــرَقِ

لِتُلاقـــي فيـــكَ زَوجَ ابنَتِهـــا

فَتُحَيِّـــكَ بِوَجـــهٍ مُـــشفِقِ

رُبَّمـــا تُبـــصِرُ مِـــن صَـــحبِكَ مَـــن

لـــم يَـــزَلْ يَـــسألُ في مُفتَـــرَقِ!

رُبَّمـــا.. كَـــم رُبَّمـــا نُطلِقُهـــا

في مآســـــينا بيـــــأسٍ مُطبِـــــقِ

يّـــذهَبُ الـــصَّوتُ وَيَبقـــى رَجعُــــهُ
آهَـــــةً في فَمِنـــــا المُختَنِـــــقِ!

يـــا نِـــزارَ الحُـــبِّ يَكفيـــكَ غِنـــىً
أنْ تَمُـــــــرَّ الآنَ مثـــــلَ الرَّمَـــــقِ
كـــــلُّ بَيـــــتٍ عَرَبـــــيٍّ نَفحَـــــةٌ
منــــكَ فيــــهِ سَــــرَيانَ الحَبَــــقِ
الـــذي يـــأرَقُ مِـــن فَـــرْطِ الجَـــوى
فَلَـــــهُ منـــــكَ شَـــــريكُ الأرَقِ
والـــــذي، أو والتـــــي يُقلِقُهـــــا
هـــــاجِسٌ، تَـــسبقُها في القلَـــقِ

والـــــــذي خــــــانَ هَـــــواهُ إلفُــــــهُ
قَبلَــــــهُ تَـــــشهَقُ إنْ لـــــم يَــــشهَقِ

مَـــــرَّةً يَـــشرَقُ أصـــحابُ الهَـــوى
بَينَمـــــا أنـــــتَ أبِيـــــدُ الــــشَّرَقِ

كـــــلُّ حُـــبٍّ أنـــتَ فيـــهِ شـــاهِدٌ
وَشَـــــريكٌ في الأســـــى والرَّنَــــقِ!

أنــــــا أدري أنَّهـــــا مَجمَـــــرَةٌ
كـــلُّ مَـــن يَعْلَـــقُ بالـــشِّعرِ شَـــقي

ربَّمــــــا يَــــــذبَحُنا في لَحظَـــــةٍ
بيـــــتُ شِـــــعرٍ بِنَقـــــاءِ الفَلَــــقِ!

إنَّ حَرفــــــاً بــــــالهوى مُحتَرِقــــــاً
عِـــدْلُ حَـــرفٍ بـــاللَّظى مُحتَـــرِقِ

ليـــتَ هـــذا الكـــونَ يَغـــدو كلُّـــهُ

عاشِـــقاً لا غارِقـــاً في العَلَـــقِ!

* * *

كالبحرِ صوتُك..

ألقيت في حفل أربعينية
محمود درويش في دمشق

قيلَ لي جئتَ بغداد مِن قبلِ يَومَينِ محمود

لم أصَدِّقْ،

فَما رَنَّ في مَكتَبي جَرَسُ التلفون

ولا قالَ..

ثمَّ تَنَبَّهتُ..

كيفَ؟..

وبغدادُ ما عادت الآن؟!..

ولا رَنَّ..؟

قالوا بَلى،
جَرَسٌ يُشبِهُ الموت
رَدَّدَ.. محمود
وانقَطَعَ الصَّوت
صَدَّقتُ شَكِّي

بَغدادُ ما عادَت الآنَ بغداد
وصَوتُكَ محمودُ يَنأى
تُتابِعُ كلُّ العَصافيرِ أمواجَهُ
وهيَ تَبكي..

كـــالبَحرِ صَـــوتُكَ يـــا محمـــودُ يـــأتيني
هَـــــديرُ أمواجِـــــهِ يَبـــــري شَـــــرايِيني

كـــالبَحر.. أســـهَرُ طـــولَ اللَّيـــلِ أرقَبُـــهُ
يَنـــأى، فَيَنـــشُرُني دَمعـــاً ويَطـــويني
وأنـــتَ تُوغِـــلُ في المَجهـــولِ أشـــرِعَةً
مُحَمَّـــلاتٍ بـــآلافِ الـــدَّواوينِ
طَوَيتَهـــا مُوجَعـــاً، والعُمـــرَ أجمَعَـــهُ
لـــم تُبْـــقِ منهـــا هُنـــا غَيـــرَ العَنـــاوينِ
وَنبـــضَةً عَلِقَـــتْ تَبكـــي بِزاوِيَـــةٍ
في أرضِ غَـــزَّةَ بَـــينَ المـــاءِ والطِّـــينِ
أكـــادُ أســـألُ مَـــن مِنَّـــا أمَـــضُّ أســـىً
أنـــا العراقـــيُّ، أم أنـــتَ الفلـــسطينيِ؟!

عـــشرينَ عامـــاً تآخَينـــا علـــى دَمِنـــا
نَجـــري بِـــهِ نازِفـــاً بَـــينَ الـــسَّكاكينِ

كــــلُّ المَعـــــابِرِ خَـــــضَّبنا مَــــــدارِجَها
مِـــن يَـــومِ ذيقـــار حتـــى يَـــومِ حِطِّـــينِ
مؤَمِّليـــــنَ الــــصِّغارَ الـواثِقيـــــنَ بِنــــا
بِبَعــثِ مَجْــدٍ مَــدى التــَّاريخِ مَدفــُونِ
تــُرى أأحــسَنتُما يــا أنتــُما وَجَعــاً
أم رُحتــُما حَطَبــاً بَيــنَ الكَوانيــنِ؟!

عــشرينَ عامــاً طـَوَيناها علــى عَجَــلٍ
نــَموتُ مــا بَيــنَ تِــشرينٍ وَتِــشرينِ
حتــى ذوَيْــنا.. وهــذا أنــتَ رُحْــتَ سـَنَىً
أمَّــا أنــا، فــَلأيِّ اللَّيــلِ تُبْقيـــني؟!

يا أقـرَبَ النـاسِ مِـن جُرحـي وَمِـن وَجَعـي

كم ضَجَّ يأسي، وَكم حاوَلتَ تَطميني؟

كُلُّ المَرابِدِ كُنَّا في مَجامِرِها
وَإخوَةُ الشِّعرِ بَينَ الحُورِ والعِينِ

وكنتَ تُوري لَياليهِم مُشاكَسَةً
فَيَضحكونَ، ولكنَّ ضِحكَ مَغبونِ!

ما جئتَ بغداد إلا والنَّخيلُ لَهُ
مِمَّا شَدَوتَ نَزيفٌ في العَراجينِ!

وَلا انقَضى مِربَدٌ يَوماً حَضَرتَ بِهِ
إلا وأنتَ حَبيبٌ لِلمَلايينِ

وكنتُ محمود أُدني منكَ مَجمَرَتي
وكنتَ، مُحتَفياً بالجَمرِ، تُدنيني

حيناً تؤاخي المآسي بَينَ أحرُفِنا

وَيَفعَـلُ الحُـبُّ بَـينَ الحـينِ والحيـنِ
حتـى لَيَكتـُبَ كـلُّ وَجْـدَ صاحِبِـهِ
لأنَّـهُ بِـشَجاهُ جِـدُّ مَـسكُونِ!

هذي القصيدةُ شِعري.. أمس عِشتُ

وَعِـشتُ فيهـا.. وكـادَتْ أنْ تُوافيـني
كَتَبتَـها أنـتَ.. قـُلْ لـي كيـفَ تَسبقُني
إلـى دَمـي، مُـستَحِماً في بَراكيـنيِ؟!

محمـود.. تَذكُرُ هـذا..؟؟.. قُلتَـهُ عَلَـناً
وأنـتَ تـَرجفُ حتـى كـِدتَ تُبكيـني
وَكـانَ أوَّلَ يـَومٍ لِلِّقـاءِ لَنـا
وَالآن.. مـا زلـتَ حتـى الآن تَـشجيني

مـــا زلــــتَ تُـوقـــِظُ أوجــاعي فَتُلهـــِمُني
وَتُوقـــدُ الـجـــَمرَ حتـــى في رَياحيــــني

يـــا عُنفـــوانَ فلِــــسطينٍ بأجمَعِهـــا
وَيـــا فَجيعـــَةَ أهــــلي في فلِـــسطينِ

بَـل يـا فـَجيعَةَ كـلِّ الـشِّعـرِ في وَطنـــي
والنـــَّخْلِ، والأرزِ، والزَّيتـــونِ، والتـــِّينِ

وَيـــا فَجيعـــَةَ حتـــى الطـــَّيرِ، أعذَبِهـــا
شـــَدْواً.. فَجيعـــَةَ أســـرابِ الحَـساسينِ

تـَحومُ حَولـَكَ.. تـَبكي.. مَحْضَ أجنِحَـةٍ
مُرَفرِفـــاتٍ، بِـــصَمتٍ جـــِدِّ مَطعـــونِ!

هَـل كنـتُ أبكـي.. أم انَّ الـرِّيحَ تُـسمِعُني
نَحيبَهـــا بـــينَ أوراقـــي، وَتـــُوصيني

أن لا أميــلَ عــلى قــَومي فَأُســمِعَهُم

نــَعيَّ محمــود؟.. يــا شــُمَّ العَرانيــنِ

محمــودُ مــات.. فأنتــُم يــا عُمومَتــَهُ

مِــن صَوتـــِهِ في مــَلاذٍ جــِدٍّ مــأمونِ!

مــا عــادَ يُقلِقــُكم، لكــنْ سَيَترُكــُكم

مَــدى المَــدى سُبــَّةً بــينَ الدَّواويــنِ!

هــا قــد دَنــَوتُ لأوكـــارِ الــشَّياطينِ

محمـود.. إنْ تِهـتُ دَعْ مَـسراكَ يَهـديني!

مـا كـانَ أجـدَرَ في هـذي القـصيدةِ أن

أنــأى بِهــا عــن نِفــاياتِ الدَّهـاقــينِ

وَأن أُنـــَزِّهَ يـــَوماً أنـــتَ غُرَّتـــُهُ

عــن أنْ يُـشابَ بـِذكرِ العـَيبِ والـدُّونِ

لكنــــهُ وَجَـــعي.. أبـــقى أمُـــجُّ لـــهُ
دَمــاً وَجَمــراً، وَشِــعري مِــن قــَرابيني

هــذي مَذابــِحُ أهلــي، وهــيَ مَــذبَحَتي
أنـــا الذَّبـــيحُ وأعمـــامي سَكاكيـــني

أمــَّا زَواحِــفُ أمريكــا فــقد عَــبَرَتْ
إلـــيَّ مِـــن دُورِ هاتيـــكَ الثَّعابيـــنِ

وبَينَهـــا مِـــن بَـــني أعمامِنـــا عَـــرَبٌ
مُبَطَّنـــونَ بِجِـــسقيلٍ ورابيـــنِ!

وأنــتَ خمــسينَ عامــاً كنــتَ تَــصرَخُ في
ديانِهـــِم، فَتُثَنـــِّي ألـــفُ آميـــنِ

حتــى إذا استأنَــسُوا أبــصَرتَ أيــديَهُم
كــلاً بــِها خِنجَــرٌ مِــن صُــنعِ صِــهيونِ!

وَحَـــقِّ مَوتـــكَ يـــا مَحمـــودُ، وهـــوَ دَمٌ

ذِمامـــهُ حـــوَلَ أعنـــاقِ المَلايـيـــنِ

وإنـــنّي واحـــدٌ مـــنهُم، فَلَـــو خَفـــَرَتْ

عَينـــي أقـــولُ لهـــا: عَـــن مِحجَـــري بِـــيني!

عَمـــىً لـــها.. كـــانَ أولـــى أن نمـــوتَ مَعـــاً

مِـــن أنْ تُدَجـــنَّ أو تـــرضى بِتَـــدجينِ!

سَنَلتـــقي ذاتَ يَـــومٍ .. سَـــوفَ تَـــسألُني

مـــاذا تركتَ؟.. وأحكـــي.. سَـــوفَ تُعطيني

وِســـامَ أنْ أتَبـــاهى زاهيـــاً بِـــدَمي

لأنـــهُ لـــم يَـــصِرْ مـــاءاً لِيَحميـــني!

تـــُرى أأوفَيـــتُ أحزانـــي مَدامِعَهـــا؟

وَقـــد تَـــجاوَزتُ سِتـــيِّني وَسَبعـــيني؟

هُمـــا إبـــائي وَشِـــعري صُـــنتُ زَهوَهُمـــا

حاشـــاكَ مَحمـــودُ يَومـــاً أن تُواســـيني!

أنـــا حَمَلـــتُ جِراحـــي مُنـــذ كُـــنتُ فَـــتىً

علـــى المَنـــابرِ، أو بـــينَ الـزَّنـازيـــنِ

وأنـــتَ، قَلـــبُكَ.. هَـــل أحـــسَنتَ عِـــشرَتَهُ

أم كـــنتَ تَحملـــهُ حَمـــلَ المَطـاعيـــنِ؟

وكـــانَ مـــا بَينَـــنا عَـــشرٌ سَبَقـــتُ بهـــا

وَهـــا أنـــا الآنَ أســـعى لِلثَّمانيـــنِ

تُـــرى أأثقَلَـــني عُـــمري فَأبـــطأني

وأنـــتَ أسـرَعتَ في سَبـــعٍ وسِتِّيـــنِ؟!

* * *

يا شاديَ الأيك..

ألقيت في الحفل الكبير الذي أقيم
في دمشق، في ذكرى بدوي الجبل

أكَبــــرتُ مَغنـــاكَ أن يَـــذوي كَمَغنانـــا

يـا شـاديَ الأيـكِ عُمـرَ الأيـكِ مـا هانـا

يَبقـى النَّـدى مـا بَـدا للـضَّوءِ منـهُ مَـدى

يَجــري إليــهِ، ويَبقــى الأيــكُ سُــلطانا!

وأنـــتَ يـــا سَـــيِّدي ناجَيتَـــهُ مَلَكـــاً

فَرَفـــرَفَ الـــشَّجَرُ المَـــذهولُ هَيمانـــا

غَلغَلــتَ صَــوتَكَ فِي الأنــساغِ يُوقِظُهــا

حتـــــى تَفَتَّحَـــــت الأوراقُ آذانـــــا!

أسـرَجتَ فِي الغَـيمِ بَـرقَ الـشِّعرَ أجمَعَـهُ
وحـينَ أمطَـرتَ مـاجَ الكَـونُ ألحانـا!

تُـــرى أغَنَّيـــتَ، أم رَتَّلْتَهـــا صُـــحُفاً
تَنثـــالُ مـــن مَلَكـــوتِ اللّهِ أوزانـــا؟

مَـــلأتَ أنهـــارَ كـــلِّ الأرضِ أشـــرِعَةً
وقُلْـتَ لِلمـاءِ: كُـنْ يـا مـاءُ طُوفانـا

وجئـــتَ بـــالوَحيِ آيـــاتٍ مُعَطَّـــرَةً
ســالَتْ بِهِــنَّ فَجُــنَّ المــاءُ سَــكرانا!

طُوبـاكَ والأيـكُ قـد أهـداكَ بَهجَتَـهُ
نحـــنُ امتُحِنَّـــا بِـــهِ وَرداً وأغـــصانا!

مُحَمَّـــدَ بـــنَ سُـــلَيمانٍ.. وأيُّ رؤىً
لِلـوَحيِ مَوسَـقتَها مَوجـاً وشُـطآنا؟

سُــبحانَ رَبِّــكَ هَــل داوودُ خُــصَّ بِهــا

هــذي المَزاميــرُ أم خَــصَّتْ سُــلَيمانا؟

فَحاشَـــها لابنِـــهِ.. تَلهـــو أصـــابِعُهُ

بهـــا.. مَلائِكَـــةً يُـــوقِظنَ شَـــيطانا!

يـا سَـيِّدي.. يـا نَـدِيَّ الحَـرفِ تَقدَحُـهُ

جَمـراً، وَيَبقـى علـى الأوجـاعِ نَـديانا

كــأنَّ حَرفَــكَ، مِمَّــا فيــهِ مِــن وَهَــجٍ

وَخُــضرَةٍ، نَبــعُ مــاءٍ أشــمَسَ الآنــا!

كأنَّـــهُ، وَجَنـــاحُ الـــوَحيِ يَحمِلُـــهُ

نجـــمٌ يُشَعــشِعُ فِي الظَّلمـــاءِ نَـــشوانا

وَنَحـــنُ يـــا سَـــيِّدي أوراقُنـــا اختَنَقَـــتْ

مِمَّـــا نَمُـــجُّ بِهـــا دَمعـــاً وَدُخَّانـــا

رِقـــابُ أحرُفِنـــا مَلويَّـــةٌ أبَـــداً
فَـــوقَ الـــسُّطورِ، فَنَخـــشاها وَتَخـــشانا

صِـــرنا كلانـــا نَخـــافُ الـــسَّطرَ نَكتُبُـــهُ
أن يَـــستَفيقَ، فَنُغـــضي عـــن نَوايانـــا!

فَـــنَحنُ نُخفـــي، وَتُخفينـــا قَـــصائِدُنا
تَحـــتَ الرُّمـــوزِ.. وَنَنـــساها وَتَنـــسانا!

سَـــبعينَ عامـــاً طَوَينـــا نُـــستَفَزُّ دَمـــاً
فَـــتَملأُ الأرضَ أرحامـــاً مَنايانـــا

يَلِـــدنَ لِلثَّـــأرِ أزكـــى وارِثـــي دَمِنـــا
إذ نحـــنُ فيهـــا ظُبـــاً أُلبِـــسْنَ أكفانـــا!

تَبقـــى القبـــورُ وِلاداتٍ مؤَجَّلَـــةً
مـــادامَ فيهـــا كِبـــارُ الهَـــمِّ سُـــكَّانا!

سَــبعينَ عامــاً، وَتَــدري الــسُّوحُ أجمَعُهــا
أنَّـــا أقَمنـــا بِجُـــرفِ المَـــوتِ مَرســـانا
أبهَـــى أُوَيلادِنـــا كـــانوا بِهـــا شُـــهُباً
تَهـــوي وأركانُهـــا تَهتَـــزُّ أركانـــا
والآنَ صِـــرنا نَخـــافُ الحَـــرفَ نَكتُبُـــهُ
وَنَتَّقـــي قَبـــلَ كـــلِّ النَّـــاسِ قُربانـــا!
يــا لَيــتَ تلــكَ الــسِّنينَ الغُــرَّ مــا سُــقيَتْ
وليـــتَ ذاكَ النَّزيـــفَ المُـــرَّ مـــا كانـــا!

يـــا سَـــيِّدي البَـــدَويَّ الكَـــربُ زَلزَلَنـــي
هَـــبْ هـــذهِ الكَلِمـــاتِ العُـــرْجَ سِـــيقانا
لَعَلَّنـــي بِـــشَرايِيني، علـــى عَرَجـــي

أُقــيمُ منهــا لِــبَعضِ النَّـــاسِ ميزانـــا

أقـــولُ لِلمُحْـــدِقينَ الآنَ بـــي عَرَبـــاً

أخـــــزاكُمُ اللّهُ أعمامـــــاً وإخوانـــــا

بلادُكُـــم كُلُّهـــا حُـــزَّتْ حَناجِرُهـــا

ومـــا تَزالـــونَ لِلجَـــلاَّدِ أعوانـــا!

أقـــولُ إنَّ بَنـــيكُم يَـــسألونَ غَـــداً:

آبـــاؤهُم أيـــنَ كـــانوا مِـــن رَزايانـــا؟

مـــاذا نَقـــولُ لهُـــم؟.. كـــانوا سَماسِـــرَةً

لِلمُعتَـــدي؟.. بِـــأخَسِّ البَيـــعِ أثمانـــا؟!

مـــاذا نقـــولُ؟.. غَزَتْنـــا مِـــن مَنـــازِلِكُم

هـــذي الأفـــاعي التـــي هِيـــضَتْ بمأوانـــا؟

وأنَّكـــــم، لا يَبِـــــلُّ اللّهُ ريقَكُمـــــو

بيـــوتُكُم صِـــرْنَ لِلغـــازينَ أوطانـــا؟

وأنَّ مَجمَـــــرَةً شَـــعوا مَـــــداخِنُها
مِـــن كـــلِّ أبيـــاتِكُم يَنفُـــثْنَ دُخَّانـــا
غَـــداً تُـــشَبُّ بـــأرضِ العُـــرْبِ أجمَعِهـــا
وَتَعتَلـــي شَـــفعَةَ الإســـلامِ نيرانـــا؟
مـــاذا نَقـــولُ إذا كانَـــت كـــرامَتُكُم
تَبكـي علـى قَـدْرِها مِـن فَـرْطِ مـا هانـا!
صِـرتُم تَغـيظُ أذَلَّ النَّـاسِ ضِـحكتُكُم
مـا قِيـلَ عَـن واحِـدٍ مِـن بَيـنِكُم: خانـا!
كأنَّهـــا نُكتَـــةٌ تُستَـــضحَكونَ بِهـــا
هَـــل أصـــبَحَتْ لُغَـــةُ الإذلالِ إدمانـــا؟!
أم زادَ قَـــدْرُكُمو في الـــذُّلِّ مَرتَبَـــةً

إذ صـــــرتُم الآنَ خُـــــدَّاماً وعُبـــــدانا؟!

يـا سَـيِّدي عُـذرَ صَـوتي أنْ يَمُـجَّ دَمـاً

ديوان المراثي - م ١٠

صِـــرنا نُجَـدِّفُ حَـــدَّ الكَفْـــرِ أحيانـــا

فَـــأيُّ أســـــتارِنا لِـــلآنَ مـــا هُتِكَـــتْ؟

وأيُّ أقطارِنـــــا لِـــــلآن مـــــا عـــانى؟

هــا ســاحَةُ العُــربِ والإســلامِ مَذبَحَــةٌ

وَهـــــا دِمَـــــشقُ تُبـــــاكي الآنَ بَغــــدانا

صَــرْحٌ هَــوى لا نَخَونــا فيــهِ مُعتَــصِماً

ولا نَـــدَبنا، ولـــو بـــالهَمسِ، مَروانـــا

ولا صَــرَخنا كَمــا المَطعــونُ يَــصرخُ مِــن

أعمـــــاقِ طَعنَتِـــــهِ كِبْـــــراً ونُكرانــــا

لكــــنْ نُنَمِّـــقُ حَـــدَّ اللَّمـــعِ صَـــرخَتَنا

وَقَــد نُرَقِّــقُ حَــدَّ الــدَّمعِ شَــكوانا

صــرنا أذَلَّ الــورى يَبــري عَــصاهُ لَنــا
ونحـــنُ نَبـــسِمُ إشـــفاقاً وإذعانـــا

أفــديكَ يــا سَــيِّدي إذ قلــتَ مُنــذَبِحاً
[تَــأنَّقَ الــذُّلُّ حتــى صــارَ غُفرانــا!]

يــا سَــيِّدي البَــدَويَّ الآنَ يَــشفَعُ لــي
هــذا النَّزيــفُ بــأن آتيــكَ ظَمآنــا

أقــولُ جَفَّــتْ ميــاهُ العُــرْبِ أجمَعُهــا
وأنـــتَ أحفَلُهـــا بالمـــاءِ وِديانـــا

فَهَــبْ فَمــي رَشــفَةً مِمَّــا زَخَــرتَ بــهِ
مَــدى حَياتِــكَ أنهــاراً وَغُــدرانا

لَعَلَّنـــي، وَلَظــى بغــدادَ يَنظــرُ لــي
أجــري ولــو جَـدوَلاً في جَمــرِهِ الآنــا

لَعَــلَّ صَــوتيَ يَعلــو في مَنائِرِهــا
بِــبَعضِ صَــوتِكَ إنجــيلاً وقُرآنــا

يُقَبِّــلُ النَّــاسَ إنــساناً فَإنــسانا
وَيَحــضُنُ الــدُّورَ أبوابــاً وَجُــدرانا

يَقــولُ دَفقَــةُ مــاءٍ مِــن دِمَــشقَ أتَــتْ
تَــسقيكُم الآنَ عَطــشاناً فَعَطــشانا

تُبَلــسِمُ الــرُّوحَ حتــى تَــستَفيقَ بهــا
تلــكَ المــروءاتُ غَنَّــاهُنَّ أزمانــا

إذ ذاكَ يــا سَــيِّدي يَغفــو بِأعيُنِنــا
مُحَمَّــدُ بــنُ سُــلَيمانٍ سُــلَيمانا!

* * *

هَبها دُعاءكَ

إلى روح الشاعر الكبير السيد مصطفى جمال الدين.

ألقيت في دمشق في الاحتفال بالذكرى الثانية عشرة لرحيله.

هَبْهــــا دَعـــــاءَكَ، فَهـــــيَ لا تَتَـــــذكَّرُ

مِن فَرْطِ ما اشتَبَكَتْ عليها الأعْصُرُ(*)

وَأعِـــدْ نِـــداءَكَ مَـــرَّةً أُخـــرى لَهـــا

فَلَعَـــــلَّ عَبْرَتَهـــــا بِـــــهِ تَتَكَـــــسَّرُ

وَلَعَلَّهــــا، وَهـــــيَ الذَّبيحَـــــةُ، سَـــيِّدي

بِمَهيـــــبِ صَـــوتِكَ عُرْيُهــــا يَتَـــدَثَّرُ!

(*) في المطلع إشارة إلى قصيدة (بغداد) للسيد مصطفى جمال الدين: بغدادُ ما اشتبكت عليكِ الأعصُرُ.

وَلَعَـــلَّ مَـــن وَثَبُـــوا علـــى حُرُماتِهـــا
نَـــــــزَواتُهُم بِجَلالِـــــــهِ تَتَعَثَّـــــــرُ

هَبْهــا جَمــالَ الــدِّينِ صَــوتَكَ حانيــاً
يَعلـــو، فَيَخــشَعُ مِـــن تُقــاهُ المِنبَـــرُ!
فَعَــسى مَــسامِعُهُم، وبَعــضُ قلــوبِهِم
تَنـــدَى بِـــهِ مِـــن قَبْلِمـــا تَتَحَجَّـــرُ
وَعَــساكَ تُــدرِكُ قَطــرَةً مِــن مائِهــا
أو نَخلَـــةً يَبِـــسَتْ تَعـــودُ، فَتُثمِـــرُ!
وَلَعَـــــلَّ طاعِنَهـــــا، وأنـــــتَ تَهُـــــزُّهُ
يَـصحُو، فَيَـسقُطُ مِـن يَدَيـهِ الخِنجَـرُ!

بغــدادُ أُختُــكَ مُــصطفى، فَــأقِمْ لَهــا

أنــــتَ الــــصَّلاةَ، لَعَلَّهـــا تَتَـــأثَّرُ
بِعَميــقِ وَجْــدِكَ.. عَــلَّ فِي شُــطآنِها
جُرُفــاً تُلامِــسُهُ فَــلا يَتَفَطَّـــرُ!

فَلَقَـــد عَهِــدتُكَ والمُـــروءَةُ غَيْمَــةٌ
فِي صَــوتِكَ الحــاني تَهِــلُّ وَتُمطِــرُ!

تَـسقي الهَـوى.. يـا رُبَّ عَوْسَـجَةٍ بِـهِ
بَقِيَــتْ طِــوالَ حَياتِهــا تَخــضَوضِرُ!

صِــفةُ «الجَميــلِ» كــأنَّ كــلَّ حُروفِهــا
تُنْمــى إلَيــكَ، وكُلُّهــا بِــكَ تُزْهِــرُ!

وَجْهـــاً، وأخلاقـــاً، وَعُمْـــقَ مُـــروءَةٍ
وَتُقـــىً.. وأعْظَمُهُـــنَّ أنَّـــكَ تَأسِـــرُ

بِوَديـــعِ طَبْعِـــكَ، حَـــدَّ أنَّ مَحَبَّـــةً
تَنــسابُ مِــلْءَ الــرُّوحِ حَيْــثُ تؤَشِّــرُ!

عُــذراً أبــا حَــسَنٍ.. هُمــوميَ جَمَّــةٌ

وَوَريـقُ غُـصْنِكَ رغـمَ نَأيـكَ أخـضَرُ

وأخـافُ مِـن وَجَعـي عليـهِ فَقـد مَـضَتْ

عــشرونَ عامــاً بَينَنــا تَتَحَــسَّرُ

أنَّــا أضَــعْنا في الأســى أعمارَنــا

والُحــزنُ في أعماقِنــا يَتَجَــذَّرُ

لَــم نَلتَفِــتْ لِلمُحْــدِقاتِ بِبَيْتِنــا

والُمحــدِقينَ بِــهِ، وأيــنَ تَــستَّروا

لَــم نَــسأل الأبــوابَ عَــن أقفالِهــا

لَــم نَــدْرِ مــاذا خَلفَهُــنَّ يُــدَبَّرُ

وَإذا بِنــا، في لَيلَــتَينِ، مُباحَــةٌ

حَتَّـــى مَحارِمُنـــا لِمَـــن يَتَـــسَوَّرُ!

أمَّـــا الـــدِّماءُ، فَلَـــو وَصَــفْتُ أقَلَّهـــا
لَجَـرَتْ دُموعُـكَ في ضَـريحِكَ تَزخَـرُ!

هـــذا دَمُ الفُقَـــراءِ يَنـــزِفُ مُـــصطفى
وَفَقيــــرُهُم يَبكـــي عليـــهِ الأفقَـــرُ!
هـــذا دَمُ العُلَمـــاءِ.. مَـــن أحِبَّتَـــهُم
ذُبِحُـوا علـى مَـرأى الأنـامِ وَسُـفِّروا!
وَدَمُ الَّـــذينَ كَتَبْـــتَ عـــنهُم أنَّهُـــم
بَنَـوا الحَـضارَةَ في العـراقِ، وَعَمَّـرُوا
دَمُ هـــؤلاءِ يَـــسيلُ، لا دَمُ مَـــن غَـــزا
وَحِـــــذاؤهُ بِرِقابِنـــــا يَتَـــــأمَّرُ!

يــا سَــيِّدي، بغــدادُ حتــى شَمــسُها
سَـــوداءُ ممّـــا وَجْهُهـــا يَتَعَفَّـــرُ!
لا ماؤهـــا يَنـــسابُ، لا ظَلّماؤهـــا
تَنجـــابُ.. لا إعـــسارُها يَتَيَـــسَّرُ
أمّـــا مَواسِـــمُ شِـــعرِها فَجَميعُهـــا
مِــن بَعْــدِ صَــوتِكَ عــارِضٌ لا يُــذكَرُ!

عُــذراً أبــا حَــسَنٍ، وَمِثْلُــكَ عــاذِرٌ
لُغَتــي علــى وَجَعــي، وَمِثلــيَ يُعــذَرُ
إنَّــا تَقاسَــمْنا التَّــشَرُّدَ.. عِــشتَهُ
قَبْلــي، وَهــا أنَــذا بِــهِ أتَعَثَّــرُ
لَــنْ أدَّعــي أنِّــي صَــبورٌ في الأذى
بَعــضُ الأذى مِــن كُــلِّ صَــبْرٍ أكبَــرُ!

لكنَّـــــهُ وَطَنــــــي يُهَيَّـــــأُ نَعْـــــشُهُ

لِيَـــصيرَ أوطانـــاً تَـــضيعُ وَتُطْمَـــرُ

مِـــن أجْـــلِ مَـــن ذُبِـــحَ العِـــراقُ، وأهلُـــهُ

في كـــلِّ أرجـــاءِ البَريَّـــةِ بُعثِـــروا؟

مِـــن أجْـــلِ مَـــن مليـــونُ طِفـــلٍ شُـــرِّدوا

وَحَـــدائقُ الـــسَّرَطانِ فـــيهِم تُزْهِـــرُ؟!

مِـــن أجْـــلِ مَـــن يـــا سَـــيِّدي آباؤنـــا

وَصِـــغارُنا مِـــن كـــلِّ بَيـــتٍ هُجِّـــروا؟

كُـــلٌّ بـــأرضٍ.. لا أبـــا لأبيهِمُـــو

اليابِـــساتُ نَـــأتْ بِهِـــم والأبحُـــرُ

وَلِمَـــن بَنـــادِقُ أهلِنـــا وَنِـــصالُهُم

بَعـــضٌ علـــى أعنـــاقِ بَعـــضٍ تُـــشهَرُ؟

أفَهـــذِهِ لُغَـــةُ العَدالَـــةِ مُـــصطَفى
جـــاءوا بِهـــا لِيُقَوِّمـــوا، وَيُحَـــرِّروا؟

لِتَنـــامَ إسـرائيلُ مِـــلْءَ جفونِهـــا؟
وَكلابُهـــا في أرضِـــنا تَتَبَخـتَـــرُ؟

لِتُقـــيمَ أمريكـــا بَعُقـــرِ بيوتِنـــا
وَنَظَـلُّ نحـــنُ لَهـــا خِرافـــاً تُنحَـــرُ؟

أفَلَـــم يَكُـــنْ إلا نَزيـــفُ دِمائِنـــا
سُـقيا لِكـي يَنمـو الخَـرابُ الأكبَـرُ؟!

عَفْـــوَ ابتِـــسامَتِكَ التـــي أدري بِهـــا
حَتَّـــى بِأقـــسى المُوجِعـــاتِ تُنَـــوِّرُ

أنـــتَ الإمـــامُ الـــسَّمْحُ، والعَلَـــمُ الـــذي

أبَـــداً مَعَـــالِمُ وَجْهِـــهِ تَستَبـــشِرُ

مـــا راءَهُ مَـــن راءَ، في أوجاعِـــهِ
إلا، عَلـــى أوجاعِـــهِ، يَتَنَـــدَّرُ!
يـــا صـــاحبَ القَلَـــمِ الأُحِـــسُّ كأنَّـــهُ
تَبكـــي الـــسُّطورُ عَلَيـــهِ وَهـــوَ يُـــسَطِّرُ
مِـــن فَـــرْطِ مـــا يَبْـــري حُـــشاشَتَهُ بِهـــا
أرأيتُمـــو قَلَمـــاً بِحَـــرفٍ يؤسَـــرُ؟!
لِلَّـــهِ دَرُّكَ مُـــصطَفى، وَمُبـــارَكٌ
قَبـــرٌ حَـــواكَ، وإنْ تَكُـــن لا تُقبَـــرُ!

* * *

في رحاب الحسين

١٩٩٥

قَــــدِمتُ، وعَفــــوَكَ عــــن مَقــــدَمي

حَــــسيراً، أســــيراً، كــــسيراً.. ظَمــــي

قــــــدمتُ لأُحــــــرِمَ في رَحبَتَيــــــك

سَــــــلامٌ لِمثــــواكَ مــــن مَحــــرَمِ!

فَمُــذْ كنــتُ طفــلاً رأيــتُ الحــسين

منــــاراً إلــــى ضــــوئِهِ أنتَمــــي

ومُــذ كنــتُ طفــلاً وجَــدتُ الحُــسين

مَــــلاذاً بأســــوارِهِ أحتمــــي

ومُــذْ كنــتُ طِفــلاً عرَفــتُ الحُــسين

رِضـــاعاً.. ولـــلآن لـــم أُفطَـــمِ

ســـــلامٌ عليـــكَ فأنـــتَ الـــسَّلام

وإن كنـــــتَ مُختَـــضِباً بالـــــدَّمِ!

وأنـــتَ الـــدَّليلُ إلـــى الكبريـــاء

بمـــا ديـــسَ مـــن صَـــدرِكَ الأكـــرَمِ!

وإنَّـــــكَ مُعتَـــــصَمُ الخـــــائفين

يـــا مَـــن مِـــنَ الـــذَّبحِ لـــم يُعـــصَمِ!

لقــد قلــتَ للــنَّفسِ: هــذا طريقُــكِ

لاقـــي بِـــهِ المـــوتَ كـــي تَـــسلَمي

وخُــضتَ وقــد ضُــفِرِ المــوتُ ضَــفراً

فمـــا فيـــه للـــرُّوحِ مِـــنْ مَخـــرَمِ

ومـــا دارَ حولَـــكَ، بَـــل أنـــتَ دُرْتَ
علـــــى المـــــوتِ في زَرَدٍ مُحكَـــــمِ
مِـــن الـــرَّفضِ والكبريـــاءِ العظيمـــةِ
حتـــــى بَـــــصُرتَ، وحتـــــى عَمِـــــي
فَمَـــسَّكَ مـــن دونِ قَـــصدٍ فمـــات
وأبقـــاكَ نجمـــاً مـــن الأنجُـــمِ!

ليـــومِ القيامـــةِ يَبقـــى الـــسُّؤال
هـــل المـــوتُ في شَـــكلِهِ المُـــبهَمِ
هـــو القَـــدرُ المُبـــرَمُ ألـــلا يُـــرَدُّ
أم خـــــادمُ القـــــدَرِ المُبـــــرَمِ؟!

ســـلامٌ عليـــكَ حبيـــبَ النَّبـــيِّ

وبُرعُمَــــهِ.. طِبــــتَ مـــــن بُـــــرعُمِ
حَملْـــــتَ أعـــــزَّ صِـــفاتِ النَّبـــــيّ
وَفُـــــــزتَ بمِعيــــــارِهِ الأقـــــــوَمِ
دِلالَــــــــةَ أنَّهُمـــــــو خَيَّـــــــروكَ
كمـــــا خَيَّـــــروهُ، فلـــــم تُـــــثْلَمِ
بــل اختــرتَ موتَــكَ صَــلْتَ الجَــبين
ولـــــم تَتَلَفَّـــــتْ.. ولـــــم تَنـــــدَمِ
ومـــــا دارتِ الـــــشَّمسُ إلاّ وأنـــــتَ
لِلألائِهـــــــا كـــــــالأخِ التَّـــــــوأمِ!

ســـــــلامٌ علـــــــى آلِـــــكَ الحُـــــوَّمِ
حوالَيــــــكَ فِي ذلـــــكَ المَـــــضْرَمِ

وَهُـــم يَـــدفعون بِعُـــري الـــصُّدور

عــــن صَـــدرِكَ الطَّـــاهرِ الأرحَـــمِ
وَيحتَـــــضنونَ بِكِبْـــــرِ النَّبـــــيِّين
مـــا غـــاصَ فـــيهِم مِـــن الأســـهُمِ

سَــــلامٌ علــــيهِم.. علــــى راحَـــتَين
كشمــــــسَين في فَلَـــــكٍ أقـــــتَمِ
تَـــــشُعُّ بطونُهُمــــــا بالـــــضِّياء
وتَجـــري الـــدِّماءُ مِـــن المِعـــصَمِ!

سَـــــلامٌ علـــــى هالـــــةٍ تَرتَقـــــي
بلألائِهـــــا مُرتَقـــــى مَــــــريَمِ
طَهــــــورٍ، مُتوَّجَـــــةٍ بـــــالجَلال
مُخَــــــضَّبَةٍ بالـــــدَّمِ العَنــــــدَمِ

تَهـــاوَت فـــصاحةُ كـــلِّ الرِّجـــال

أمـــــــامَ تَفَجُّعِهـــــــا المُلهَـــــــمِ
فراحَـــتْ تُزعـــزعُ عَـــرشَ الـــضَّلال
بـــــــصوتٍ بأوجاعِـــــهِ مُفعَـــــمِ

ولـــو كـــان لـــلأرضِ بعـــضُ الحَيـــاء
لَمــــــــادَت بأحرُفِهــــــا اليُـــــتَّمِ!

ســـلامٌ علـــى "الحُـــرِّ" في ســـاحتَيك
ومَقحَمِـــــهِ، جَـــلَّ مِـــن مَقحَـــمِ
سَـــلامٌ عليـــهِ بحجـــمِ العَـــذاب
وحَجــــمِ تَمَزُّقِــــهِ الأشـــــهَمِ
سَـــلامٌ عليـــهِ.. وَعَتْـــبٌ عليـــه
عَتْــــبَ الـــشَّغوفِ بـــه المُغــــرَمِ؟!

فكيـــفَ، وفي ألـــفِ سَـــيفٍ لُجِمـــتَ

وَعُمــرَكَ يــا "حُــرُّ" لــم تُلجَــمِ؟!
وأحجمْـتَ كيـف..؟.. وفي ألـفِ سـيف
ولــو كنــتُ وحــديَ لــم أُحجِــمِ

ولــم أنتَظـــرْهُم إلـــى أن تَـــدور
عليـــكَ دوائـــرُهُم يـــا دَمــــي

لَكنــتُ انتزَعــتُ حــدودَ العــراق
ولــو أنَّ أُرســانَهم في فَمــــي!

لَغيَّــرتُ تــأريخَ هــذا التُّــراب
فمــا نــالَ منــهُ بنــو مُلجَــمِ!

ســلامٌ علــى "الحُــرِّ" وَعيــاً أضــاء
وزرقــاءَ مــن ليلِهــا المظلِــمِ

أطلَّــتْ علــى ألــفِ جيــلٍ يَجــيء

وغاصَـــــتْ إلـــى الأقـــدَم الأقـــدَمِ
فأدرَكَــت الــصَّوتَ.. صــوتَ النُّبــوَّةِ
وهـــــوَ علـــــى موتِـــــهِ يَرتَمـــــي

فمـــا ســـاوَمَتْ نفـــسَها في الخَـــسار
ولا ســـــــاوَمتْها علـــــى المَغـــــنَمِ

ولكـــنْ جَثَـــتْ وجفـــونُ الحـــسين
تـــــرفُّ علــــى ذلــــك المَجــــثَمِ

ويـــا ســـيِّدي يـــا أعـــزَّ الرِّجـــال
يـــا مُـــشرَعاً قَـــطُّ لـــم يُعجَـــمِ

ويـــا بـــنَ الـــذي سَـــيفُهُ مـــا يـــزال
إذا قيـــلَ يـــا ذا الفقـــار احـــسِمِ

تُحِـــسُّ مـــروءةَ مليـــونِ ســـيفٍ

سَـــــرَتْ بـــــين كفّـــــكَ والمَحْـــــزَمِ!

وتُوشَـــــكُ أن.. ثمَّ تُرخـــــي يَـــــدَيك

وتُنكِـــــرُ زعمَـــــكَ مِـــــن مَـــــزعَمِ

فـــــأين سـيوفُكَ مـــــن ذي الفَقـــــار

وأينَـــــكَ مـــــنْ ذلـــــكَ الـــــضَّيغَمِ؟!

علـــــيٌّ.. عَلـــــيَّ الهُـــــدى والجهـــــاد

عَظُمـــــتَ لـــــدى اللّهِ مـــــن مُـــــسلمِ!

ويـــــا أكـــــرَمَ النَّـــــاسِ بعـــــدَ النَّبـــــيِّ

وَجهـــــاً.. وأغنـــــى أمـــــريءٍ مُعـــــدَمِ!

مَلَكـــــتَ الحيـــــاتَين دُنيـــــا وأُخـــــرى

ولـــــيسَ ببيتِـــــكَ مِـــــن دِرهَـــــمِ!

فِـــــدىً لخـــــشوعِكَ مـــــن نـــــاطقٍ

فـــــداءٌ لجوعِــــكَ مـــــنْ أبكَـــــمِ!

قـــــدِمتُ، وعفـــــوَكَ عـــــن مَقـــــدَمي
مَزيجـــــاً مِـــــن الـــــدَّمِ والعَلقَـــــمِ
وبـــــي غَـــــضَبٌ جَـــــلَّ أن أدَّريـــــهِ
ونَفـــــسٌ أبَـــــتْ أن أقـــــولَ اكظِمـــــي
كأنَّـــــكَ أيقظـــــتَ جُـــــرحَ العـــــراقِ
فتيَّـــــارُهُ كلُّـــــهُ في دمـــــي!
ألَـــــستَ الـــــذي قـــــالَ للبـــــاتراتِ
خُـــــذيني.. وللـــــنَّفسِ لا تُهزَمـــــي؟
وطـــــافَ بـــــأولادِهِ والـــــسّيوف
عَلَـــــيهم ســـــوارٌ علـــــى مِعـــــصَمِ

فَـــــضَجَّت بأضـــــلُعه الكبريـــــاء

وصـــاح علـــى موتِــهِ: أقـــدِمِ!

كــذا نحـــنُ يــا ســيّدي يــا حُــسين

شِـــدادٌ علـــى القَهـــرِ لـــم نُـــشكَمِ

كــــذا نحــــنُ يــــا آيــــةَ الرَّافــــدَين

سَــــــواتِرُنا قَــــطٌّ لــــــم تُهــــــدَمِ

لَــئنْ ضــجَّ مــن حولِــكَ الظَّــالمون

فإنّــــا وُكلِّنــــا إلــــى الأظلَــــمِ

وإن خانــــكَ الــــصَحْبُ والأصــــفياء

فقــد خانَنــا مَــن لَــهُ نَنتَمــي!

بنــــو عمِّنــــا.. أهلُنــــا الأقرَبــــون

واحِــــــدُهُم صــــــارَ كـــــالأرقَمِ

تَــــدورُ علينــــا عيــــونُ الــــذِّئاب

فنَحتــــــارُ مِــــنْ أيِّهـــــا نحتمــــي!

لهــــذا وقَفنـــــا عُــــراةَ الجِــــراح

كبــــــــاراً علـــــــى لؤمِهــــــا الألأمِ

فيـــا ســــيّدي، يـــا سَـــنا كــــربلاء

يُلألــــــيءُ في الحلَـــــكِ الأعــــــتَمِ

تَـــــــشُعُّ منـــــــائرُهُ بالــــــــضِّياء

وتَزفُـــــــــرُ بـــــــالوجَعِ المُلهَـــــــمِ

ويـــا عطَـــشاً كـــلُّ جَـــدْبِ العـــصور

سَـــــــيَنهَلُ مِـــــــنْ وِردِهِ الزَّمــــــزَمِ

ســــأطبَعُ ثغـــري علـــى موطِئَيـــك

ســــــلامٌ لأرضِـــــكَ مـــــن مَلـــــثَمِ!

* * *

يا ماليءِ الدنيا دماً ومروءة

هَتَـفَ البَـشيرُ فَقَبِّـل ابنَـكَ يـا عَلـي

بـــالمعنَيَين: مُقَبَّــلٍ ومُقَبَّــلِ

تَــدري، ويَــدري اللّٰهُ قَبْــلُ، وَجَــدُّهُ

إيحـــاءَ مَولِــدِهِ بيَــومِ المَقتَــلِ!

طَرَفـا هِــلالٍ قَوسُــهُ عَـرْضَ الـسَّما

في الــشَّمسِ ذاك، وذا بلَيــلٍ أَلْيَــلِ

طَرَفـا هِــلالٍ مثــلِ سَــيفٍ هائــلٍ

شَـطَرَ الـسماءَ، وظـلَّ يَـصرخُ: يـا هَلـي

بِدَمي فَصلَتُ اللَّيلَ عن بَلَجِ الضُّحى
كي يَستقيمَ، فيا سيوفُ تَعَجَّلي!

هتَفَ البشيرُ، فَقَبِّلْ ابنكَ يا عَلي
هَنِّئْ بهِ الزَّهراءَ فهوَ ابن الوَلي
هوَ مَنْ على شَفَتَيهِ رَفَّ مُقَبِّلاً
ثغرُ النَّبيِّ.. حَنا على الوَجهِ الخَلي
وتكادُ أشرَفُ دمعةٍ مِن عينِهِ
تَهمي، ولكنْ عينُهُ لم تَهمِلِ
جَدٌّ، ولكنْ أيُّ جَدٍّ مُرسَلٍ
سِبْطٌ، ولكنْ سِبْطُ جَدٍّ مُرسَلِ
وهو الحسين، شهيدُ أشرَفِ وَقفَةٍ

هـــذا الزَّكـــيُّ الأنبَـــلُ بـــنُ الأنبَـــلِ

هـــذا الـــذي أسَـــرَ الزَّمـــانَ بموتِـــهِ
وأقـــامَ عـــن أسْـــرِ الزَّمـــانِ بمَعـــزَلِ!

يـــا مـــالئَ الـــدُّنيا دمـــاً ومـــروءةً
ومُكـــــبَّلاً في زِيٍّ غيـــــرِ مُكبَّـــــلِ

دارَتْ عليـــهِ الـــدَّائراتُ ولـــم يكُـــن
فَـــرْداً، ولا كـــان الحُـــسينُ بـــأعزَلِ

كانـــتْ حُـــشاشةُ جَـــدِّهِ في صَـــدرِهِ
وَمِـــن اقتـــدارِ أبيـــهِ كـــان بجَحفَـــلِ

لكنَّـــهُ القـــدَرُ العظـــيمُ أرادَهـــا
عـــصماءَ لـــم تُتـــأَمْ، ولـــم تَتمَهَّـــلِ!

فاختارَهـــا، واختـــارَهُ قَـــدَراً لهـــا

مُتَبتِّــــلٌ يـــــسعى إلـــــى مُتَبَتِّـــــلِ!

حتـــــى إذا التَقَيـــا تَهيَّـــبَ مَوتُـــهُ

فهـوى الحـسينُ عليـه مثـلَ الأجْـدَلِ!

هـــي ميتـــةٌ عِـــدْلَ الحيـــاةِ بأسْـــرِها

أفَـــلَ الزَّمـــانُ ونجمُهـــا لـــم يأفَـــلِ!

يـــا يـــومَ مـــيلادِ الحـــسين، ولـــم نَجـــدْ

إلاكَ مـــــيلاداً بمـــــوتٍ يَختَلـــــي

فيكـــونُ هـــذا ذا، وتُـــصبحُ ميتـــةٌ

كـــولادةٍ، لكـــن بطَعـــمِ الحَنظـــلِ!

حتـــــى تكـــادَ الأرضُ في مـــيلادِهِ

تبكـــي، وتُعلِـــنُ زهوَهـــا في المقتَـــلِ!

هـــو مولـــدُ القـــيَمِ العظيمـــةِ كلِّهـــا

ونزولُهـــا بـــالموتِ أعظـــمَ مَنـــزِلِ!

قُـــلْ للنُّجـــومِ بكـــربلاءَ تَرجَّلـــي
وعلـــى مَنـــائِرِهِ المَهيبـــاتِ انزِلـــي
وَخُـــذي سَـــنىً منهـــا لألـــفٍ قـــادمٍ
وخُـــذي دموعـــاً للمَجَّـــرةِ واهطِلـــي
ألفـــاً، وقـــولي للعـــصورِ جميعِهـــا
هيهـــات.. أنـــتِ بمثلِـــهِ لـــن تَحبَلـــي!
مِـــن أيـــن تَجتَمـــعُ النبـــوَّةُ مـــرَّةً
أخـــرى بميقـــاتِ الـــسَّماءِ المُنـــزَلِ؟!

يـــومَ الحـــسين، وإذ أُنـــادي يومَـــهُ
مـــيلادُهُ ورَحيلُـــهُ يَثِبـــانِ لـــي!

جنِحَــــيْ سَـــنىً ودمٍ تُحلِّـــقُ فيهمـــا

نفــسٌ إلـــى فَلَـــكِ النُّبـــوَّةِ تَعتَلـــي

للّهِ دَرُّكَ مـــــن وليـــــدٍ باســـــلٍ

للّه دَرُّكَ مـــــن شـــــهيدٍ أبـــــسَلِ!

وَلِــدَ الحــسينُ فيــا عيــونُ تَكَحَّلــي

منـــهُ، ويـــا كـــلَّ الحَنـــاجرِ هَلّهِلـــي

ثمَّ اجعَلـــي الأجفـــانَ غَـــيمَ مَـــدامعٍ

وَتـــذكَّري عطَـــشَ الحُـــسينِ فبَلِّلـــي!

وَلِـــدَ الـــذي لـــو جاذَبَتْـــهُ ضـــياءَهُ

شـمسُ الـسَّماءِ لَقيـلَ للـشَّمس اخجَلـي!

وَمَـــــن المـــــروءةُ بَيـــــدرٌ في بيتِـــــهِ

ولكـــلِّ أهـــلِ الأرضِ حَبَّـــةُ خَـــردَلِ!

وُلِــدَ الـــذي دمُـــهُ أعـــزُّ دمٍ جـــرى
لــولا أبــوهُ.. تَبــارَكَ اسـمُكَ يـا علــي!
أنجَبتَـــهُ للمكرُمـــاتِ جميعِهـــا
وســقَيتَهُ مـــنهنَّ نفـــسَ المَنهَـــلِ
ورآكَ فُــزْتَ بهــا، ففــازَ بهــا فتــىً
بورِكــتَ مــن أسَــدٍ هِزَبْــرٍ مُــشبِلِ!

يــا يــومَ مــيلادِ الحــسينِ وَهبْــتَ لــي
شَــرفَ الــدّخولِ إليــه أجمَــلَ مــدخَلِ
أن ألتقيـــهِ ولـــو ليـــومٍ واحـــدٍ
فَجـــراً بهيّـــاً لا دمـــاءَ مُجَنـــدَلِ!
أفَكلَّمـــا ذُكِـــرَ الحُـــسين تَقطَّعَـــتْ
أحــشاؤنا وَجَعــاً وصِــحنا: يــا علــي؟

وكـــأنَّ أوجـــاعَ العـــراقِ جميعَهـــا

إرثُ الحـــسين فثاكِـــلٌ عـــن أثْكَـــلِ!

يـا سـيّدي، نفـسي فِـداكَ، أجِـزْ فَمـي

وبغَيـــرِ هـــذا الـــدَّمعِ أنطِـقْ مِقْـوَلي

أنـــا راجـــفٌ جَزَعـــاً فثَبِّـــتْ لحظـــةً

قلمـــي علـــى وَرَقـــي، وَثَبِّـــتْ أنْمُلـــي

وأمـــلأْ دمـــي فَرَحـــاً، ووجـــداني نَـــدىً

ودَعْ الفُـــــراتَ بمائِـــــهِ المتَوَسِّـــــلِ

يـــسعى إليـــكَ مُكفِّـــراً عـــن ذَنبِـــهِ

ألـــفٌ ونَيْـــفٌ وهـــو أوجَـــعُ مُهمَـــلِ

وهـــو الفـــراتُ.. لـــو اســـتطاعَ أوانَهـــا

لأتـــاكَ مَفجوعـــاً بمـــاءٍ مُعـــوِلِ
وهَــوى علــى قَــدَميكَ يَــسقي مــاءَهُ
مِـــن جـــسمِكُ البِدمائِـــهِ مُتـــسَربِلِ

ليكـــونَ عنـــدَ اللّهِ شـــاهدَ نفـــسِهِ
ويُجيـــبَ لا مُتلَعثمـــاً إن يُـــسألِ!

هتـــف البـــشيرُ، فيـــا خَوافـــقُ رَتِّلـــي
بـــالنَّبضِ مـــا هتـــفَ البـــشيرُ، وبَـــسمِلي
وبكـــلِّ أرضٍ يـــا مـــروءةُ زَغْـــرِدي
فـــإذا وَصَـــلتِ لِكـــربلاء فـــأعوِلي!

*   *   *

في رحاب النجف الأشرف

١٩٩٢

شَــــرَفٌ لـــيسَ بَعـــدَهُ شَـــرَفُ

أنَّـــكَ الآنَ عَرشُـــكَ النَّجَـــفُ

أيُّهـــا المُـــــستَفَزُّ أجنِحَـــــةً

في رِحـــابِ الكَـــرَّارِ تَرتَجِـــفُ

شَـــــرَفٌ أنَّ كـــــلَّ بارقـــــةٍ

أو رَفيـــفٍ مِـــن رَهبَـــةٍ يَجِـــفُ

بجَناحَيـــــــكَ أنَّ خَفْقَهُمـــــا

لِعلـــــيٍّ بالحـــــبِّ يَعتـــــرِفُ

شَـــرَفٌ لـــيسَ بَعـــدَهُ شَـــرَفُ

أنَّـــكَ الآنَ بَيتُـــكَ النَّجَـــفُ

إنْ تَكُـــنْ قـــد وقفـــتَ مُرتَبكـــاً

فـــالنَّبيُّون هَهُنـــا وَقَفـــوا

أو تَكـــنْ جئـــتَ نازفـــاً فَأقِـــلْ

فـــالنَّبيُّونَ هَهنـــا نَزَفـــوا

وتَواضَـــــعْ، فَكـــــلُّ أُنْمُلَـــــةٍ

هَهنـــا فوقَهـــا دمٌ يَكِـــفُ!

مِـــن علـــيٍّ لليـــومِ هاطلـــةٌ

تَحتَهـــا الرَّاســـياتُ تَنخَـــسِفُ

فاختَـــصِرْ إنْ تَكـــنْ أتَيـــتَ لكـــي

تُعلِـــنَ الحُـــزنَ أيُّهـــا الكَلِــفُ!

عَجَبــي يــا حــسينُ كيــفَ هُنــا

لـــيسَ يَحمَـــرُّ لَونُـــهُ الـــسَّعَفُ!

كيــفَ تَبقــى الــسَّماءُ صــاحيَةً

هكـــذا، والغـــصونُ تَنعَطِـــفُ

وكــأنْ لــم يَكُــنْ هنــا مَطَــرٌ

دَمُـــهُ عِـــدْلَ بَرقِـــهِ يَلِـــفُ!

تُربَـــةُ الأنبيـــاءِ يَعـــصِمُها

أنَّهـــا الآنَ فـــوقَ مـــا أصِـــفُ

كلَّمـــا أُمْطِــرَتْ زَهَـــتْ رُطَبـــاً

بَينَمـــا حِمْــلُ غيرهـــا حَـــشَفُ

سـيِّدي يـا علـيُّ، مَعـذرةً
أنـا مِـن راحَتَيـكَ أرتَـشِفُ
أبلَـغُ القـولِ أنـتَ سَـيِّدُهُ
والـوَرى مِـن نَـداكَ تَغتَـرِفُ
فـإذا مـا وقفـتُ مُـضطَرباً
فاعـذُرَنْ وَقفَتـي التـي أقِـفُ
أنـا نُـصُبَ الجَـلالِ أجمَعِـهِ
لَيتَنـي لـي بِظِلِّـهِ كَنَـفُ
ليـتَ مـاءَ الفُـراتِ يُـصبحُ لـي
أدمُعـاً في ثَـراكَ تَنـذَرِفُ
أيُّهـا الحاسِـرُ الـذي أبَـداً
بِـشِغافِ القلـوبِ يَلتَحِـفُ

أيُّهـــا الجاسِـــــرُ المَـــــضاربُهُ

كــــلُّ ليـــلٍ بِهِـــنَّ يَنكَـــشِفُ

أيُّهـــا الآسِـــرُ الأســـيرُ تُقـــىً

لـــــــيسَ إلا اللّهِ يَزدَلِـــــــفُ

هـــوَ فَجــرُ الإســـلامِ.. أعظَمُـــهُ

أنَّـــهُ ذلـــكَ الفَتـــى الأنِـــفُ

الـــذي عَنـــهُ فاتِحـــاً يَـــدَهُ

نَزَلَـــتْ مِـــن سَـــمائِها الـــصُّحُفُ

والـــذي مِنـــهُ قابِـــضاً يَـــدَهُ

شَـــعَفاتُ القلـــوبِ تَتـــشَعِفُ

والـــذي مِـــن دُعائِـــهِ انفَطَـــرَتْ

بـــابُ رَبِّـــي، وانجابَـــت الـــسُّجُفُ

الـــذي لـــو تَمَـــسُّ غَيرَتُـــهُ
جَــبَلاً قلــتُ ســوفَ يَنخَــسِفُ

والـــذي سَــيفُهُ النُّفــوسُ بِــهِ
قبــلَ خَطــفِ العيــرِ ديوان المراثي - م ١٣
والـــــذي إذْ تَلــــوحُ غُرَّتُـــــهُ
كــلُّ شــمسٍ في الكــونِ تَنكَــسِفُ
هـــوَ فَجـــرُ الإســـلامِ.. لؤلـــؤهُ
آلُــــهُ، والعَــــوالِمُ الـــصَّدَفُ

يــا ابــنَ عَــمِّ النَّبــيِّ لُطفَـكَ بــي
وأجِزْنــــي، فالليـــلُ يَنتَــصِفُ
وأنـــــا لـــــم أزَلْ أرى قَلَمـــــي

ويَــــدي والــــسّطورَ تَرتَجِــــفُ

أنــا فيَ حَــضرَتَيكَ.. شاخِــصَةٌ

نُـصُبَ عَينــي هــذي، وذي تَــرِفُ

فيَ ضـلوعي.. مُـذْ كُـوِّرَتْ قَفَـصاً

وضـــــلوعي عليـــكَ تَعتَكِـــفُ!

فَــــأقِلْني إذا كَبَــــوتُ هُنــــا

مِـن خـشوعي.. وتَعـذُرُ النَّجَـفُ!

* * *

يا نَجيَّ اللّٰه!

ألقيت في الاحتفال المهيب الذي أقيم في النجف الأشرف بمناسبة الذكرى الثمانينية للشاعر والفقيه والمجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي في ١٢/ ١٢/ ١٩٩٧م.

أُعـفُ عنّـي واقفـاً بـينَ يَـدَيكَ   أيُّهـا المُشْرِفُ مـن عـالي الـذُّرا

أنا مِن أرضـي هُنـا أرنُـو إليـكْ   بَينَمــا أنــتَ سَــماءٌ لا تُــرى!

هكـــذا طَيفُـــكَ لـــي لَـــيلاً بَـــدا

مثـــلَ نَجـــمٍ لَفَّـــهُ غَـــيمُ الـــرَّدى

وَتَـــلالا ضَـــوؤهُ رغـــمَ المَـــدى

مالئـاً عَينـي بِوَمـضَيْ مُقلَتَيـكْ   مالِكـاً قلبـي، دَرى أو مـا دَرى

أنـا طفـلاً كنـتُ هَيمـانَ علَيـكْ		مُنـذُ أن نَبْعُـكَ في قلبـي جَـرى!

مُـذْ «غـزالِ الكَـرخِ والكـأسِ الهَنـي»
وَرَجـا صـاحِبِهِ عبـدِ الغَنـي
«إسْقِني واشـرَبْ أو اشـرَبْ واسْقِني»

مُنذُها، والشِّعرُ يُدنيني إليكْ		مانِعاً عن مُقلَتي طَيفَ الكَرى
كيفَ أعتَى لُغَةِ الضّادِ لَدَيكْ		تَستَوي نَبْعاً وَتَجري أنهُـرا!

يـا نَـدى الحَـرفِ وَيـا حَـرْفَ النَّـدى
وَيَـدَ الحَـقِّ جِهـاداً وَهُـدى
أنـت كنـتَ الصَّوتَ والـدَّهرُ صَـدى

والمُــروءاتُ نَمَــتْ فيْ رَحْبَتَيــكَ   ســاريات حَيــثُ مَرقــاكَ سَــرى
أيُّها العابِدُ طـأطِيءْ عارِضَيكَ   قَـلَّ أنْ مِثلَهُمــا مَــسَّ الثَّــرى!

يـــا إمـــامَ الحُـــبِّ، ثمَّ الغَـــزَلِ
يــا مَــن التَّقــوى بِــهِ تَقــوى وَلــي
سَــيِّدي أفــديكَ هَــلاّ قُلــتَ لــي

كيـــفَ إذْ تَحنـــي خـــشوعاً   يَنحَنـــي خَلفَهُمــا كـلُّ الــوَرى
بَينَمــا الفِتنَــةُ تَغــزو ناظِرَيـكَ   «قَمَــراً تَمّــاً، وَظَبيــاً أعْفَــرا»!

زَعَمُــوا أنَّــكَ لَــم تَعــشَقْ، وَلَــم..
وَهُمُـــو أربـــابُ حَـــرْفٍ وَقَلَـــمْ

تَرِبَـــتْ أقلامُهُـــم.. هـــذا الألَـــمْ

والجَوى هذا الـذي في جانِحَيـكْ هـذهِ الأوجـاعُ.. كانَـتْ بَطَـرا!
أمْ همُـو مـا فَهِمـوا إغـضاءَتَيكْ هــذهِ تَقــوى، وَهــذي خَفَــرا!

مَــن يَقُــلْ عــن سِــربِ غِــزلانٍ سَــني
«يَتَبــــاهَنْ وَقَـــــد يَعرِفنَنــــــي»
«وَهـــوَ فـــيهِنَّ غَـــضيضُ الأعـــيُنِ»

إنَّ مَن يَرصُدَ ما في نَظرَتَيكْ مِــن وُلــوعٍ في خُــشوعٍ أُسِــرا
يَفهَمُ الجُرحَ الـذي في بُردَتَيـكْ يا شَـهيداً في الهَوى ما أُجِـرا!

رَحمَـــةُ اللهِ علـــى شَـــيخي البَـــصيرْ

كـــانَ لـــي في حَيرَتـــي نِعـــمَ النَّـــصيرْ

قـــالَ لـــي يَومـــاً: أتَرضـــى أن يَـــصيرْ

صـاحِبُ الغُـرِّ الأثيـراتِ لـدَيكْ		جاهلاً بالحُبِّ مَقطوعَ العُـرى؟

قلتُ: كـلاّ والـذي أوحـى إليـكْ		هـوَ أدرى فيـهِ مِـن كـلِّ الـوَرى!

سَـــيِّدي، يـــا أطهَـــرَ النـــاسِ يَـــدَينْ

وأعَـــــفَّ النَّـــــاسِ خَفَّاقـــــاً وَعَـــــينْ

مِـــن مَعـــاني حَـــسَنٍ، أو مِـــن حُـــسَينْ

مَـــلأَ الحُـــبُّ تَقيَّـــاً جانِحَيـــكْ		لِيُحِبَّـــا شَـــرْطَ أنْ لا يُؤسَـــرا

إنَّ نِبـراسَ الهَـوى وَقْـفٌ عَليـكْ		أنتَ في الحُبِّ تَرى ما لا نَـرى!

أيُّهـــا الـــسَّاهِدُ قَلْبـــاً وَحَـــدَقْ
أيُّهـــا العابِـــدُ وَفَّـــى وَصَـــدَقْ
أيُّهـــا الواصِـــدُ بابـــاً لا يُـــدَقْ

دونَ أنْ يَـــستأذِنَ الـــسَّاعي حَـــذَراً، أو خَفَـــراً، أو بَهَـــرا
فَـــإذا قَبَّـــلَ فِي حُـــبٍّ يَـــدَيكْ فَكَـــأنْ قَبَّـــلَ كَفَّـــيْ حَيْـــدَرا!

أنـــتَ يـــا شِـــبْهَ عَلـــيٍّ فِي المِهـــادْ
فِي تُقـــاهُ، وَإبـــاهُ، والجِهـــادْ
والَّـــذي عَـــوَّدَ عَينَيـــكَ الـــسُّهادْ

إنَّ مِـــن هَيْبَتِـــهِ فِي وَقفَتَيـــكْ خاشِـــعاً لِلَّـــهِ أو مُنتَـــصِرا
صُـــورَةً تُـــسْبِغُ مَعنـــاهُ عَلَيـــكْ ســـاجِداً فِي دَمِـــهِ مُـــدَّثِرا!

هكـــــذا جَـــــدُّكَ في أيَّامِـــــهِ

تَـــسطَعُ الـــشَّمسُ علـــى أعلامِـــهِ

وَذُرا مَعْنـــــــاهُ في إســـــــلامِهِ

وَبِمَعنـــاهُ قَرأنـــا صَـــفحَتَيكْ   فَرَأينـــاكَ بِـــهِ مُـــؤتَزِرا

حـــامِلاً آيَتَـــهُ في أصـــغَرَيكْ   قَلـــبَ لَيـــثٍ وَلِـــساناً أجهَـــرا!

يـــا كَبيـــراً في التُّقـــى والغَـــزَلِ

يـــــا نَجـــــيَّ اللّهِ مُنــــذُ الأزَلِ

يـــا بَقايـــا حَـــسَنٍ بَعـــدَ عَلـــي

كلُّ مَن يَصعَدُ مَرقَى قَدَمَيكْ   حـامِلاً ضَـوءَكَ قِنـديلَ سُـرى

فَلَقَدْ أنْبَتَ إحدى حُسْنَيَيكْ   وَهَجاً في قَلبِهِ أو مَطَرا!

سَيِّدي، يا سَيِّدَ الدُّنيا جَميعا

يا خَضيبَ القلبِ دَمعاً وَنَجيعا

أيُّها الرَّاكِعُ لِلَّهِ صَريعا

أنا إذْ أطرُقُ بابَيْ مَحْبِسَيكْ   مَحبِسَ العِلمِ، وَحَبْساً أخطَرا

هوَ حَبْسُ الرُّوحِ في اللهِ لَدَيكْ   هكذا القدِّيسُ يَسعى بَشَرا!

هكذا أنتَ عظيمٌ سيِّدي

أيِّدٌ عَن أيِّدٍ عَن أيِّدِ

أنا إذْ أحمِلُ طِرسي بيَدي

مُنشِداً مِسكينَتي بَينَ يَدَيكْ مِثلَ مَن يُبْضِعُ تَمراً هَجَرا

فَلأَنِّي مُوثَقُ القلبِ لَدَيكْ فأَقِلْني عاثِراً مُعتَذِرا!

أيُّها القلبُ الذي لم يَجِفِ

لِسِوى اللهِ، وَلَم يَرتَجِفِ

سَيِّدي، مِن عُمْقِ أرضِ النَّجَفِ

أرفَعُ الصَّوتَ مِن القلبِ إليكْ آمِلاً، مُبتَهِلاً، مُستَغفِرا

فَسَلامُ اللهِ مَولايَ عَلَيكْ ما ظَلامٌ عن صَباحٍ أسفَرا!

هوامش

- كل ما بين الأقواس تضمين من موشحات السيد المجاهد محمد سعيد الحبوبي.

- البصير: هو الدكتور محمد مهدي البصير (رحمه الله) وكان أستاذنا في الأدب في دار المعلمين العالية ببغداد، ورئيس قسم اللغة العربية فيها، وشاعر ثورة العشرين في العراق.

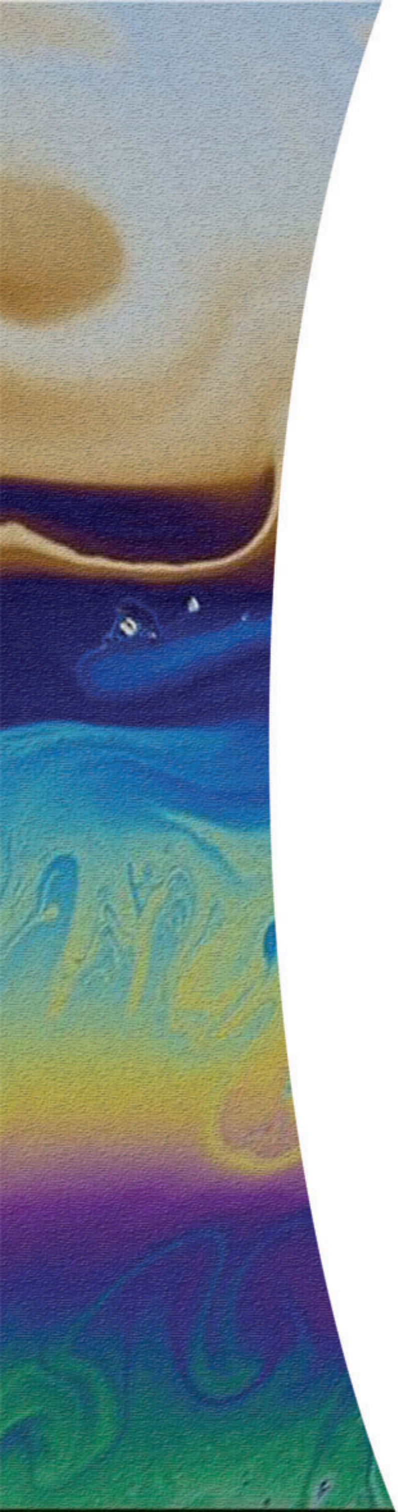
* * *

المحتوى

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٩
عدد الطبع ١٠٠٠نسخة



الهيئة العامة السورية للكتاب

The Syrian General Organization of Books

مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٠

سعر النسخة ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها